الباب الأول

المنهج التحليلى وتطبيقاته
فى الفلسفة الخلقية عند رسل

الباب الأول

المنهج التحليلى وتطبيقاته فى الفلسفة الخلقية عند رسل

اهتم فلاسفة التحليل من المدرسة الواقعية الجديدة بتطبيق المنهج التحليلى على مشكلات الفلسفة التقليدية. وذلك بفحصها وتحليلها فى ضوء التطورات المعاصرة فى مجال تحليل اللغة أو المنطق والعلوم الطبيعية، ومن ثم كان لهم موقفهم من فلسفة الأخلاق. وقد تأثرت الفلسفة الخلقية بهذا الاتجاه التحليلى على الرغم من التفسيرات المختلفة لمعنى التحليل وأهدافه واعتبرت الفلسفة الوضعية المنطقية التى تفرعت من الفلسفة الواقعية الجديدة، ان قضايا الأخلاق ليست قضايا علمية، فلقد وجه "كارناب" نقداً للفلسفة الأخلاقية التقليدية، وقرر أنه ليس هناك ثمة قضايا أخلاقية، حيث يرى أن القضايا الأخلاقية لاتعبر عن شىء قابل للتحقيق التجريبى، لذلك يمكن اعتبارها أقاويل تعبر عن رغبات، أو أوامر أو وصايا، ولا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب لأنها لاتشير إلى شىء ولا سبيل لتقديم برهان إثبات أو برهان نفى، إما على صحتها أو على كذبها[1].

كما يرى "آير" "أن الأحكام الخلقية هى مجرد عواطف، وان وجود أى رمز أخلاقى فى عبارة ما لا يضيف شيئاً لمحتواها الواقعى، وعندما نقول "أنك أخطأت حيث سرقت هذا المال "فإنى لا أقرر شيئاً أكثر مما لو قلت" أنك قد سرقت هذا المال"، وحين اضفت ان هذا الفعل خاطئ فإنى لم أخبر عن شىء جديد وكل ما هنالك أنى أظهرت استهجانى الأخلاقى له. بل حتى مع تعميم القول والحكم بأن سرقة المال خطأ، فهنا تصبح الجملة ليس لها معنى واقعى ولا تعبر عن مدلول واقعى، ولاتعتبر قضية يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، إنما هى مجرد تعبير عن ميل فطرى عندى أحب أن يكون عليه سلوك الناس. وقد يقول شخص آخر نقيض ذلك، دون أن يكون فى إمكان

---

(١) د. ذكريا ابراهيم، دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص ٢٩٣، مكتبة مصر، ١٩٦٨، القاهرة

أحد الجانبين إثبات ما يقوله هو" ونفى ما يقوله الآخر، إذ ليس هنا ما يثبت أو ينفى فالحكم الأخلاقى لا إثبات له ولانفى، حكمه فى ذلك حكم صرخة الألم أو كلمة الأمر وما إلى ذلك من الأشياء التى تعبر عن حالة شخصية ولاتصور أمراً خارجياً[١]"، وينتهى الوضعيون إلى اعتبار القضايا الأخلاقية ليست بذات معنى وهى بذلك لاتصلح أن تكون جزءاً من علم، لأن الشرط الأساسى الذى يجب أن يتوافر فى أى قضية علمية هو إمكان التحقق من صدقها ولا يكون هذا التحقق ممكنا إلا إذا كان المعنى موضوعياً يشترك فيه الناس جميعاً ولم يكن يقتصر على الشعور الذاتى الخاص بالمتكلم وحده، فإن مايقصر على ذات المتكلم لا يصلح أن يكون علماً لأنه ليس معرفة على الإطلاق، بل هو حالة وجدانية يحسها صاحبها.

ولما كان "رسل" من رواد الحركة التحليلية المعاصرة، وكان له فلسفته الخلقية ومنهج تحليلى صارم، فهل جاءت فلسفته الأخلاقية متوافقة مع منهجه التحليلى ومع رواد الفلسفة التحليلية؟ إذ يرى "رسل" أن التجريبية التحليلية الحديثة قادرة على تقديم إجابات محددة بالنسبة لمشكلات معينة ويكون لها صفة العلم أكثر مما لها صفة الفلسفة، ومنهجها يشبه مناهج العلم وباستخدام هذا المنهج يتيسر حل كثير من المشكلات القديمة حلاً تاماً، إلا أن مجال القيم يظل خارج مجال هذا المنهج العلمى، فليست القيم جزءاً من المعرفة الإنسانية، فالعلم وحده لايستطيع إقامة الدليل أو البرهنة على أنه من القبيح أن نستمتع بانزال القسوة بالآخرين، وعلى ذلك فإن كل ما يمكن معرفته إنما يجيئنا عن طريق العلم أما الأشياء التى تعتبر ضمن الميدان الشعورى فهى خارجة عن نطاقه"[٢] فهل يعنى ذلك أن "رسل" قد ساير أصحاب الاتجاه التحليلى فى إخراجه الأخلاق من مجال العلم، وأن قيمة الخير خالية من أى معنى ولاتصلح أن تكون علماً أو جزءاً من العلم؟ أى أنه قد خرج عن المنهج التحليلى ولم يلتزم به فى فلسفته الخلقية؟ وجاءت فلسفته الخلقية أقرب إلى الفلسفات التقليدية فى الأخلاق؟

---

(١) A.J - Ayer : Language, Truth and logic, Pelican Book, U.K. 1978. P.142.

(٢) برتراندرسل : تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث، ص ٤٩٥، ترجمة د. محمد فتحى الشنيطى، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٧، القاهرة.

الفصل الأول

المنهج التحليلى عند رسل معناه وأهدافه

يعتبر "رسل" من رواد الحركة التحليلية المعاصرة وقد طبق منهج التحليل فى مجالات متعددة، وإن كان رسل قد ساهم فى الحركة التحليلية. التى بدأها "مور" إلا أنه لم يحدد خطوات منهجه التحليلى ولم يجـده فى قواعد واضحة محددة، ولم يحدد معناه وأهدافه، لقد أدى ذلك إلى ظهور تفسيرات مختلفة حول معنى وأهداف المنهج، يقول "رسل" مفسراً للتحليل "إن المحاضرات التالية هى محاولة لإظهار - عن طريق الأمثلة - طبيعة المنهج المنطقى التحليلى فى الفـلفة وبيان كفاءته وحدوده، فهذا المنهج الذى يوجد له أول مثال كامل فى كتابات "فريجه" قد فرض نفسه علىّ بشكل متزايد بوصفه شيئاً محدداً تماماً وقابلاً للتجـيد فى قواعد وملائماً لأن يقدم كل ما يمكن الحصول عليه من المعرفة العلمية الموضوعية[1]، إلا أن "رسل" لم يوضح - هذه القواعد ولم يحددها تحديداً كاملاً. كما يؤكد "رسل" على أهمية التحليل بقوله رفضت فلسفة "كانط" و"هيجل"، وسعيت لحل المشكلات الفلسفية باستخدام التحليل ومازلت مقتنعاً أنه فقط بواسطة التحليل يصبح التقدم ممكناً ولقد وجدت كنموذج لذلك أنه بتحليل الطبيعة والإدراك يمكن حل مشكلة العلاقة بين العقل والمادة. حقيقة لم يقبل أحد ما توقعته حلاً، ولكن أعتقد أن ذلك كان بسبب عدم تمام فهم نظريتى[2]، ويفهم هنا أن التحليل يعتبر حركة مضادة للتركيب ورد الفعل للفلسفة التأملية، أو للفلسفات التقليدية التى خلقت مشكلات فلسفية كثيرة ولم تقدم حلولا لها، وأنه وسيلة ضرورية لتقدم البحث الفلسفى وحل كثير من المشكلات الفلسفية.

وبالرغم من أن طبيعة "رسل" الفلسفية كانت تجعله يغير من مواقفه الفلسفية تجاه موضوعات معينة. لما قد يستجد من متغيرات تفرض عليه التغيير إلا أنه لم يغير من

---

(١) د. محمد مهران، فلسفة برتراندرسل، نص من كتاب رسل "معرفتنا بالعالم الخارجى"، ص٧، دار المعارف، ١٩٧٩، ص ٣١٨، القاهرة.

(٢) B. Russell : My Philosophical Development, George Allen, London, 1959, P.11.

اقتناعه بالتحليل حيث يقرر قائلاً : " أنه بالرغم من تغير وجهة نظرى وآرائى فى موضوعات كنت اعتنقتها فى الماضى إلا أنى ما زلت أتمسك بمبدأ العلاقات الخارجية ومذهب الكثرة وأن التحليل ليس مزيفاً "[1]؛ ويمكن تفسير ذلك بأن هناك ارتباطاً بين المذهب والمنهج عنده، والواقع أن عدم تحديد رسل لطبيعة منهجه أدى إلى ظهور عدة تفسيرات لطبيعة التحليل ومعناه وأهدافه.

١ - التحليل بوصفه تعريفاً :

فسر "ويتز" التحليل عند "رسل" بأنه صورة من صور التعريف وان الغرض من التحليل إزالة الغموض عن مركبات معنية، بتوجيه الانتباه إلى أجزائها المتعددة التى تتركب منها[2]، إلا أن اعتبار التحليل عند "رسل" نوعا من أنواع التعريف، لا يوضح منهج التحليل كما استخدمه "رسل" توضيحاً تاماً. ونلاحظ أن:

أ - يمكن اعتبار أن هدف كل الفلاسفة تحديد المقصود بتصورات معينة وتقديم تعريف دقيق لهذه التصورات، وبذلك يمكن اعتبار الفلسفة كلها تركيبات مؤلفة من تعريفات، فلقد كانت الفلسفة منذ أقدم عصورها بحثاً عن إجابة عن أسئلة من قبيل: ما الوجود، ما الحق؟ ما الخير؟، وكان الفلاسفة دائماً يحاولون تقديم تحليل لمثل هذه التصورات. لذلك ان تفسير منهج التحليل بهذا المعنى لا يميز فلاسفة التحليل عن غيرهم من الفلاسفة. فضلا على إنه لا يميز تلك الصورة التى مارس بها "رسل" هذا المنهج عن الصورة الأخرى عند الفلاسفة التحليليين الآخرين.

ب - ان اعتبار التحليل عند "رسل" مجرد الوصول إلى تعريفات تقلل من غموض موضوعاتها المركبة، يؤدى إلى افتراض أن رسل قد مارس التحليل من أجل التحليل، دون أن يهدف لأى أغراض من ورائه إلا التوضيح. إلا أن رسل كانت له أغراض أخرى أكثر أهمية. وأهم هذه الأغراض الاستغناء عن المركبات والاكتفاء بأجزائها التى تتألف

---

(١) Ibid., P.49.

(٢) د. محمد مهران، فلسفة برتراند رسل، التحليل بوصفه تعريفا، ص ٣١٩، دار المعارف، ١٩٧٩، القاهرة.

منها أو بعبارة أخرى كان يهدف من وراء تحليلاته إلى اختزال عدد الكائنات فى العالم، تطبيقاً لقاعدة نصل أوكام "لاينبغى أن تتكاثر الكائنات بلا ضرورة"[١].

جـ- ليس المراد بالتحليل أنه تعريف للألفاظ، فالتعريف يكون للحدود كل على حده، بل أن التحليل يكون لعبارة كاملة. وفضل التحليل على التعريف هو أنه حينما يتعذر تعريف حد معين تعريفاً مباشراً، نلجأ إلى تحليل العبارة التى يرد فيها ذلك الحد المراد تعريفه، فإذا ما تم استبدال العبارة كلها بعبارة أخرى تساويها معنى، مع الاستغناء عن الحد المراد تعريفه، فإن ذلك يعين على تعريف ذلك الحد بطريق غير مباشر، كذلك ليس المراد بالتحليل ترجمة عبارة إلى عبارة أخرى مساوية لها فى معناها، بل لابد أن تجئ العبارة الثانية التى هى تحليل للأولى، أكثر إبرازاً للعناصر التى تنطوى عليها العبارة الأولى، وعلى ذلك لابد أن تجيء العبارة الثانية مساوية للأولى فى معناها مضافاً إلى ذلك زيادة فى الوضوح وفى عرض عناصر المعنى[٢].

٢ - التحليل منهج للتبرير

يرى "آير" ان تصور رسل للفلسفة تصورا من نمط تقليدى، بل يعتبر أقرب إلى ممثلى التجريبية أمثال "لوك" و"هيوم" و"بركلى" و"جون ستيوارت مل"، لأنه قدم افتراضاً لايمكن اعتباره من نمط جديد، وهو أن كل معتقداتنا فى حاجة إلى تبرير فلسفى، وسبب ذلك أن "رسل" يعتقد ان أى حجة فلسفية ليست كافية لحسم مسألة وجود أى كائنات مادية مثل "اعتقادى فى وجود الطاولة التى أكتب عليها"، أو فى مسائل صورية مثل "اعتقادى فى وجود عدد أولى"، ولكنه مع ذلك يعتبر مثل هذه الحجة الفلسفية مسألة ضرورية وسبب ذلك أن الحكم بصدق القضايا التى تتعلق بهذه الكائنات، يقوم على افتراض وجود هذه الكائنات، فالحكم على وجود الطاولة يفترض اعتقادنا فى وجود الموضوعات المادية، ولكى يتم تبرير الاعتقاد فى وجود هذه الموضوعات المادية فنحن فى حاجة إلى البحث الفلسفى[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٢٤

(٢) د. زكى نجيب محمود، مواقف من الميتافيزيقا، ص ١٤٦، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٣

(٣) A.J. Ayer : Bertrand Russell, The Viking Press. 1972, PP. 24-30

كما يعتقد "آير" ان هدف "رسل" من الولاء لقاعدة نصل أوكام "يجب ألا تتعدد الكائنات بلا ضرورة" ليس مجرد الرغبة فى الاقتصاد أو حذف الكائنات التى نعتقد فى وجودها، بل يهدف رسل من استخدام القاعدة، إنه كلما زاد افتراض عدد اكثر من الكائنات، كلما كان هناك إمكانية الاعتقاد فى وجود كائن ما، قد لا يكون له وجود حقيقى فى الواقع. ويرى آير ان تحليل رسل للنفس الإنسانية فى حدود مجموعة خبرات، لا يعنى حذفها أو إنكار وجودها، بل تبرير الاعتقاد فى وجودها وتوفير نوع من الضمان لصحة هذا الاعتقاد، ويبرر "آير" ذلك بأن أى فرد لن يقبل أى نظرية تنكر وجود الذات الإنسانية أو حتى مجرد التشكيك فى وجودها، ولكن إذا تم تفسير "الذات" فى حدود "مجموعة خبرات"، فإن هذا التفسير يجعل الاعتقاد فى وجودها أكثر صلابة، عن مجرد اعتبار الذات شىء مبهم وغامض أو أنها جوهر روحانى، وعلى ذلك يعتبر "آير" ان الهدف من التحليل تبرير معتقداتنا[1].

كذلك يفسر "آير" ان استخدام رسل للبناءات المنطقية يجعل من التحليل وسيلة للتبرير. حيث يستنتج ان هدف "رسل" من استخدام البناءات المنطقية هو إمكانية استبدال الكائنات المستدل عليها "بالبناءات المنطقية"، ولما كانت هذه الكائنات التى يرغب "رسل" فى إظهارها على أنها بناءات منطقية تؤدى دوراً هاماً فى نظام معتقداتنا، فإن عملية استبدالها، بالبناءات المنطقية تستلزم القيام بعملية التحليل، وبناء على ذلك يعتقد "آير" ان "رسل" لم يمارس التحليل باعتباره غاية فى حد ذاته، بل كمحاولة لتحقيق نوع من الضمان لمعتقدات كان يمكن أن تمثل أشكالاً فلسفياً بدونه، وعلى ذلك استخدم رسل التحليل بوصفه منهجاً للتبرير[2].

لقد اعتبر "آير" أن الهدف من استخدام "رسل" للتحليل هو تبرير لمعتقدات أو توفير نوع من الضمان لمعتقداتنا، وأنه لم يهدف من التحليل إلى حذف أو إنكار المعتقدات، أو التخلص من اعتقادنا فى وجود كائن ما. ولكن التحليل يمكن أن يوفر الأساس الصحيح لاعتقادنا فى وجود هذا الكائن. إلا أنه يمكن أن نلاحظ:

---

(٢) Ibid., P.33.

(٢) Ibid., P35.

أ - ان اعتبار تبرير المعتقدات وعدم إنكارها هدف للتحليل كما استخدمه رسل . أمر يكون استنتاجه من تحليل رسل "للذات الإنسانية" بأنها مجموعة من المعطيات الحسية المتعاقبة[١]، مما يعنى الاعتقاد فى وجودها ولكن ليس كجوهر مستقل قائم بذاته أو عنصراً غيبياً. إلا أنه لا يمكن اعتبار أن الهدف النهائى للتحليل هو عملية التبرير فى كل المجالات التى استخدمها رسل. فإن كان اعتبار الهدف من التحليل عند رسل تبرير المعتقدات، يمكن أن ينطبق على تحليل "الكائنات" فإنه لا ينطبق على تحليل "قضايا اللغة"، فتحليل رسل للعبارة الوصفية لم يكن يهدف إلى تبرير وجودها أو الإبقاء عليها، إنما كان يهدف إلى حذفها والتخلص منها[٢]، كذلك اعتبار الهدف من التحليل "تبرير المعتقدات" لايجعل عملية التحليل ضرورى فى كل مجالات الفكر إنما سيكون ضرورياً فقط بالنسبة للمعتقدات التى قد تمثل إشكالاً فلسفياً بدونه.

ب- كما كان أن اعتبار الهدف من استخدام رسل لقاعدة "نصل أوكام" هو أنه كلما زاد عدد الكائنات المفترضة زاد احتمال افتراضى وجود كائن ما لايكون له وجود، وليس الهدف مجرد الرغبة فى الاقتصاد، لايتفق مع هدف رسل من استخدام القاعدة، حيث كان يهدف أن يتعقب بالتحليل صنوف الكائنات، التى يفترض الناس وجودها، حتى يرد منها ما يمكن رده إلى سواها، بحيث انتهى آخر الأمر إلى أقل عدد ممكن من الكائنات الأولية، وهى تلك التى يمكن أن ندركها بالخبرة المباشرة حتى أن رسل تطبيقاً لقاعدة "نصل أوكام" اكتفى بالتسليم بالمعطيات الحسية بعد أن كان قد اعتقد فى البداية، بأنه يجب التسليم بوجود المعانى الكلية والعلاقات والذات الإنسانية إلى جانب المعطيات الحسية[٣]، وعلى ذلك يعتبر التقليل من عدد الكائنات أو مبدأ الاقتصاد فى الفكر من أهم أهداف التحليل عند رسل، وليس مجرد الخوف من احتمال افتراض وجود ما ليس له وجود.

والحقيقة أن تفسير "ويتز" للتحليل عند رسل بأنه من نوع من أنواع التعريف وان الغرض منه تقليل درجة الغموض فى المركبات، وتفسير "آير" للتحليل بأنه منهج لتبرير

---

(١) د. زكى نجيب محمود، برتراند رسل، ص٧٦، دار المعارف، سلسلة نوابغ الفكر العربى، القاهرة

(٢) B. Russell : My Philosophical Development, P.65.

(٣) د. زكى نجيب محمود، برتراند رسل، ص ٧٧

المعتقدات، فإن كلا التفسيرين، يقوم على افتراض أن رسل قد استخدم التحليل بمعنى واحد ولغرض واحد فى كل المجالات التى طبقه فيها

٣ - أهداف التحليل :

لم يحدد رسل أهداف محددة من استخدامه للتحليل، إلا أنه يمكن استنتاج ثلاثة أهداف للتحليل عنده وهى : التقليل من عدد الكائنات، والحد من الأخطاء، وزيادة المعرفة.

أ - التقليل من عدد الكائنات فى العالم: يعتبر التقليل من عدد الكائنات فى العالم هدفاً رئيسياً من أهداف التحليل عند رسل، ولقد اعتبر رسل قاعدة "نصل أوكام" يجب ألا تتعدد الكائنات بلاضرورة[١]، مبدأ له أكبر الفائدة فى التحليل المنطقى، وتطبيقاً لهذا المبدأ. بدأ رسل يستبعد كائنات مثل " "العقل" و"المادة" و"العنصر" و"الجوهر"، تلك الكائنات المتيافيزيقية التى كانت سبباً فى كثير من مشكلات الفلسفة، والسبب فى وجوب حذفها هو استحالة وقوعها فى مجال الخبرة المباشرة، فالجوهر المادى "المنضدة" مثلا ما هى إلا مجموعة من المعطيات الحسية أو خيط طويل من الحوادث، وليس وراء هذه الظاهرات عنصر أو جوهر ثابت تتعلق به هذه الأحداث. وعلى ذلك فالمنضدة ما هى إلا ظاهراتها الحسية، لذلك يجب الاكتفاء بهذه "الظاهرات" لأنها تقع فى مجال الخبرة المباشرة، ولا يوجد عنصر خفى يسمى جوهراً وراءها. كذلك الذات الإنسانية ماهى إلا مجموعة من المعطيات الحسية المتعاقبة، وليس هناك عنصر غيبى تتعلق به تلك الظاهرات، وبذلك يقل عدد الكائنات فى العالم[٢]، وهكذا هدف رسل من التحليل أن يتعقب صنوف الكائنات التى كان يفترض وجودها، حتى يمكن أن يرد منها ما يمكن رده إلى سواها، بحيث ينتهى آخر الأمر إلى أقل عدد ممكن، وهى تلك التى يمكن أن ندركها بالخبرة المباشرة، والتى لابد من الاعتراف بوجودها أساساً للكون ولمعرفتنا به.

كما اهتم "رسل" بتحليل قضايا العلوم تحليلاً يرد موضوعاتها إلى الأوليات البسيطة التى منها تتألف، فإذا كانت القضية تتحدث عن (س) ثم أمكن تحليل (س) إلى عناصر

---

(١) نصل أوكام نسبة إلى وليم الأوكامى وهو فيلسوف إنجليزى عاش فى القرن الرابع عشر الميلادى

(٢) د. زكى نجيب محمود، برتراند رسل. دار المعارف، ص٧٤، ١١٢.

أبسط هى "أ، ب، جـ، وجب حذف س" حتى لا تتعدد الكائنات التى نفترض وجودها كمقومات للعالم، وهكذا نظل نحذف مالا تستدعيه الضرورة إلى أن تنتهى إلى الحد الأدنى من المقومات التى لابد من افتراضها لتفسر بها العالم. ويؤكد رسل "أنه من الخطأ أن تصطنع عدداً أكثر فيما يمكن أن تستغنى فيه بعدد أقل"(١).

ولم يكن رسل يهدف إلى التقليل من عدد الكائنات فحسب، إنما كان يهدف أيضاً إلى التقليل من عدد المفردات اللغوية، ويمكن اعتبار نظرية رسل فى تحليل "العبارة الوصفية" أنه كان يهدف إلى الاستغناء عن المركبات اللغوية والتقليل من افتراض وجود كائنات بسبب سوء استخدام اللغة، فالعبارة الوصفية لايتحتم أن يكون لها مسمى بين أشياء العالم الواقعى، ويقسم رسل العبارة الوصفية إلى نوعين:

١ - العبارة الوصفية العامة، ٢ - العبارة الوصفية الخاصة.

(١) أما العبارة الوصفية العامة فهى التى تحوى كلمات مثل "رجل، شجرة"، وتلك الكلمات لاتعبر إلا عن مجموعة صفات نتصورها وقد لايكون لها مسمى فى الواقع، ولكن المشكلة أن هناك تصوراً بأن الألفاظ الكلية لها وجود فى الواقع بصرف النظر عن عدم وجود أفراد لها، لذلك يقرر "رسل" أن الجملة المحتوية على كلمة أو عبارة وصفية عامة. لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب إلا إذا كان لها أفراد فى عالم الواقع، فكلمة "إنسان" مثلاً لابد أن يحل محلها فرد معين حتى يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، أما إذا ظلت بدون تحليل فيمكن افتراض وجودها واعتبارها كائناً مستقلاً كما فعل "أفلاطون" فى نظرية المثل.

(٢) أما العبارة الوصفية الخاصة هى التى لاتنطبق إلا على فرد واحد شأنها فى ذلك التخصيص شأن اسم العلم، ولكنها تختلف عن اسم العلم الذى يمكن الإشارة إليه فى الواقع: فالعبارة الوصفية الخاصة "مؤلف كتاب الأيام" رغم أنها تشير إلى اسم علَم وهو "طه حسين" إلا أنها لاتحل محل اسم العلم. فاسم العلم هو مانشير إليه بهذا أو ذاك، أما العبارة الوصفية الخاصة قد لاتكون لها مسمى فى عالم الواقع، فالعبارة "ملك فرنسا

---

(١) د. زكى نجيب محمود، برتراند رسل، ص ٦٨، نص من كتاب برتراند رسل مشكلات الفلسفة، ص١٥٣

الحالى " ليس لها مسمى فى الواقع، وعلى ذلك العبارة الوصفية الخاصة تعتمد فى صدقها على التحليل، لأنها تتكون من رموز ذات دلالة معلومة قبل أن تتآلف معاً لتكون عبارة وصفية دالة على فرد بذاته. فالعبارة "مؤلف كتاب الأيام" استعملنا فيها كلمة "مؤلف" وكلمة "كتاب" وكل منهما له دلالته المستقلة، ولابد من تطبيق (تحليل العبارة الوصفية العامة) عليها[1] وينتهى رسل من تحليل العبارة الوصفية إلى اعتبارها رمزاً ناقصاً، لا يتحتم أن يكون لها مسمى بين عالم الأشياء، وكما يمكن وجود كلمات وألفاظ نفهمها دون أن يكون لها مدلولات خارجية، وبذلك يزول الإشكال المنطقى القديم كيف يكون هناك اسماء وليس لها مسميات فى الواقع؟ والذى أدى إلى نشأة كثير من الكائنات الوهمية مع أنها فى البداية وهم خلفته اللغة، وكثير من العبارات المتيافيزيقية مثل "النفس خالدة" و"العقل جوهر روحانى" قائم على افتراض أن العبارة الوصفية تعمل عمل اسم العلم من حيث أنها تشير إلى موجودات حقيقية واقعة، وهذا ما أدى إلى افتراض وجود ضمنى لهذه الأشياء، وأدى إلى افتراض كائنات وهمية. لذلك هدف تحليل اللغة عند رسل التقليل من عدد المفردات والتقليل من عدد الكائنات.

ب - الحد من احتمال الوقوع فى الخطأ : ان استخدام رسل لقاعدة "نصل أوكام" وتقليل عدد الكائنات فى العالم لم يكن من أجل الرغبة فى الاقتصاد فقط بل كان يهدف إلى غاية أبعد، وهى الحد من احتمال الوقوع فى الخطأ فى مجال المعرفة الإنسانية، فلقد كان رسل يبحث عن أقل عدد ممكن من الأشياء البسيطة التى نقبلها بغير برهان؟ بحيث يمكننا من تلك الأشياء وتلك المقدمات أن نعرف الأشياء التى بحاجة إلى تعريف، وأن نقيم البرهان على الأشياء التى بحاجة إلى برهان[2] والوصول إلى هذه البداية المؤكدة أو الحد الأدنى من الأوليات التى لاتحتاج إلى تعريف أو برهان، يمكننا عندئذ أن نستدل على سائر المعرفة منها، استدلالاً ينتهى إلى نتائج مؤكدة. كذلك الوصول إلى أوليات المعرفة يضمن الحد من الأخطاء التى يمكن التعرض لها. يقول رسل "إفرض أنك أقمت علمك على عدد معين من الكائنات وعدد معين من المقدمات، ثم إفرض بعد ذلك أنك تستطيع

---

(١) د. زكى نجيب محمود، موقف من المتيافيزيقا، ص ١٦٢-١٨٢ «نظرية رسل فى تحليل العبارة الوصفية» دار الشروق - القاهرة - ١٩٨٣.

(٢) د. زكى نجيب محمود: برتراند رسل ص٧٧.

B.Russell: Philosophy of. Logical Atomism بحث نشر فى مجلة «مونست»، ج٢٨، سنة١٩١٩

أن تستغنى عن نصف تلك المقدمات ونصف تلك الكائنات، فذلك بلا شك يقلل استهدافك للخطأ، ذلك إذ كان لديك فى البداية عشرة كائنات وعشر مقدمات، فإن الخمسة التى تستبقيها ستكون على حالها من حيث سلامتها من الخطأ. ولكن العكس غير صحيح، أى إذا كانت الخمسة التى استبقيتها بمنجاة من الخطأ. فإن العشرة الأولى لايتحتم أن تكون كذلك بمنجاة عن الخطأ وعلى ذلك فإنك تقلل من خطر الوقوع فى الخطأ كلما قللت من عدد الكائنات والمقدمات : "المنضدة" مثلاً فى حالة افتراض عدم وجود عنصر دائم تنطوى عليه ظواهرها، فإنه فى كلتا الحالتين " حالة افتراض وجود العنصر الذى تتعلق به الظواهر وحالة افتراض عدم وجوده، وأن ليس هناك إلا ظواهر تتعاقب" أمامنا الظواهر المتعاقبة، فإذا أمكن أن نمضى إلى النهاية بغير افتراض وجود المنضدة المتيافيزيقية الدائمة، فإن خطر الوقوع فى الخطأ يكون أقل منه فى الحالة الأولى تلك هى ميزة "نصل أوكام إذ أنه يقلل خطر الوقوع فى الخطأ"[1]، لذلك يمكن اعتبار أن الهدف البعيد من الرغبة فى الاقتصاد هو الوصول إلى أقصى درجات اليقين والتقليل من إمكانية الوقوع فى الخطأ.

جـ- التحليل يقدم معرفة جديدة: إن اعتبار التحليل وسيلة لزيادة المعرفة يمكن أن يؤدى إلى الإحساس بالتناقض ، فإذا كان التحليل يهدف إلى التقليل من عدد الكائنات أو عدد المفردات اللغوية أو المركبات اللغوية فكيف يمكن أن يؤدى إلى زيادة فى المعرفة؟ كذلك قد يبدو هذا الهدف متناقضا مع أهداف الفلسفة التحليلية بوجه عام. تلك الفلسفة التى حصرت مهمتها على التحليل، بهدف تحليل الوقائع أو تحليل اللغة ومركباتها، إذ يرى معظم فلاسفة التحليل أن مهمة الفلسفة تتوقف عند تحليل أقوال العلماء أو الفروض الأساسية فى مختلف العلوم لإعطائها معناها الصحيح، أو تحليل الألفاظ التى يستخدمها الناس فى حياتهم اليومية. وكما يرى "جون وزدم" ان التحليل لا يقدم معرفة أوسع بل معرفة أدق[2].

---

(١) د. زكى نجيب محمود: برتراند رسل ص٧٨.

(٢) د. محمد مهران: فلسفة برتراند رسل ص ٣٣٣، دار المعارف، ١٩٧٧٩

إلا أن رسل يؤكد أن التحليل يقدم معرفة جديدة دون هدم لأى من المعارف الموجودة من قبل[1]، فالتحليل ليس غاية فى ذاته، ولكنه وسيلة من أجل إمكانية الحصول على معرفة جديدة ومعرفة تفصيلات أكثر دون هدم لما نعرف من قبل. وقد يفهم أن التحليل لايهدف لهدم معارفنا، ولكن فقط تحقيق الوضوح للموضوع الذى نحلله إلا أن رسل لم يقصر هدف التحليل فى زيادة الوضوح، حيث يقول "ان الشخص الذى ينقصه التمرس الموسيقى، يشعر بانطباع عام غامض لكل مركب يسمعه، بينما قائد الفرقة الموسيقية، -كما نلاحظ حركاته - يسمع المركب الذى حلل بدقة إلى أجزاء متعددة. فميزة التحليل أنه يقدم معرفة كان لايمكن الحصول عليها بدونه، فحين تعلم أن الماء يحتوى على جزئين من الأيدروچين وجزء من الأكسچين، فإنك لن تبطل أى معرفة سابقة لديك عن الماء، ولكنك اكتسبت معلومات ومعرفة أكثر عن الماء لم يكن فى مقدورك اكتسابها أو معرفتها بدون التحليل"[2]، ومعنى ذلك ان التحليل يكشف عن أجزاء المركب، وبذلك يمكن معرفة تفصيلات واكتساب معرفة أكثر "وليس الغرض من التحليل مجرد التوضيح أو إزالة الغموض ولكن اكتساب معرفة جديدة عن الموضوع الذى نحلله".

ان الأغراض الرئيسية التى كان رسل يهدف إليها من التحليل، والتى تتمثل فى التقليل من عدد الكائنات فى العالم والتقليل من خطر الوقوع فى الخطأ والحصول على معرفة جديدة، ترتبط بالتحليل كما استخدمه رسل، وقد يمكن اكتشاف أهداف أخرى للتحليل لأن رسل قد مارس المنهج فى مجالات متعددة إلا أنه يمكن اعتبار ان هذه هى الأهداف العامة لمنهجه.

٤ - معنى التحليل

التحليل بمعنى عام هو تلك العملية التى تهدف إلى فك الكل إلى أجزائه. إلا أن هذا المعنى العام، لا يحدد المقصود بالتحليل كما استخدمه رسل، وصعوبة تقديم تعريف محدد لمعنى التحليل عند رسل إنه استخدم منهجه التحليلى فى مجالات متنوعة وبصورة مختلفة، إلا أنه يمكن حصر صورتين رئيسيتين للمنهج التحليلى عنده، الأولى تحليل

(١) B. Russll : My Philosophical Development P.98.
(٢) Ibid., PP. 169-170.

الأشياء أو الكائنات التى ترمز إليها اللغة، والتى نعتقد فى وجودها، والثانية تحليل رموز اللغة نفسها وعباراتها وتركيب القضايا، لذلك كانت صياغة معنى التحليل عند رسل لابد وأن تشمل تلك الصورتين، كذلك لايمكن تقديم تعريف لمعنى التحليل، إلا من خلال الأهداف التى كان رسل يمارس من أجلها التحليل، تلك الأهداف التى يمكن حصرها فى الرغبة فى تقليل عدد الكائنات وعدد المفردات اللغوية للتقليل من احتمال وقوع فى الخطأ. وعلى ذلك يمكن صياغة معنى التحليل عند رسل، بأنه رد المركبات إلى عناصرها البسيطة أو أنه يعنى تحليل قضايا اللغة إلى قضايا ذرية بسيطة وتحليل القضية التى تحوى "عبارة وصفية" إلى عدة قضايا لها نفس المعنى ولكن لاتحوى "العبارة الوصفية" وعلى ذلك يكون معنى التحليل:

أ - تحليل الأشياء أو الكائنات التى ترمز إليها اللغة: بمعنى رد المركبات إلى عناصرها البسيطة "أو تفسير المركب فى حدود عناصره البسيطة التى تألف منها" بحيث نمتنع عن تقرير المركب ونكتفى بتقرير العناصر البسيطة، والمركب هو ما يكون مؤلفاً من أجزاء ذات خصائص معينة، وترتبط فيما بينها بعلاقات. أما العناصر البسيطة فهى أجزاء المركب وخواصها والعلاقات الكائنة بينها، بل وتلك التى لايمكن أن تنحل إلى أبسط منها، وعلى ذلك يعتبر التحليل هنا طريقة للفكر نفسر بها الأشياء فى حدود أجزائها وخصائص هذه الأجزاء والعلاقات الكائنة بينها، على وجه يستطاع معه الامتناع عن تقرير الأشياء المركبة والاكتفاء بتقرير العناصر والأجزاء بخواصها وعلاقاتها[1].

ويتضح هذا المعنى للتحليل فى تحليل رسل للأشياء المادية، فلقد حلل الشىء المادى إلى سلسلة متتابعة من الحوادث، فالجسم المادى ليس جسماً له حدود معينة وثبات ودوام، فما الجسم المادى إلا خط طويل من حوادث، وهو تاريخ يمتد مع الزمن ولايمكن فهم وجوده إلا على هذا الامتداد الزمنى المتغير لحظة بعد لحظة "فالمنضدة" هى سلسلة من الحوادث أو مجموعة من المعطيات الحسية فإذا ما صادفت جهازاً عصبياً لكائن حى، يكون لها وجود عقلى عند من يدركها فليست المنضدة إلا هذه الظاهرات "من لمعات الضوء والشكل واللمس والصوت وليس وراء الظاهرات عنصراً غيبياً خفياً يسمى جوهرياً مادياً.

(١) د. محمد مهران: فلسفة رسل، دار المعارف، ١٩٧٩، ص ٣٣٨

كذلك أن ما نسميه عقلاً فى فرد من الأفراد. ما هو إلا سلسلة طويلة من الحاضرات الحسية والصور الذهنية وليس هناك عنصراً غيبياً يمسك تلك السلسلة المتتابعة فى وعاء واحد يدوم مع الزمن[1]، ولقد كان رسل يهدف من تحليل الموضوعات المادية إلى عناصرها البسيطة التى نكون على ثقة فيها وعلى معرفة مباشرة بها، وبذلك يتحقق مبدأ الاقتصاد فى الفكر، ويمكن الاستغناء عن فكرة المادة وفكرة العقل والاكتفاء بالمعطيات الحسية.

ب- تحليل اللغة : اللغة تتكون من قضايا، والقضية مركب رمزى يحتمل الصدق والكذب وتدل على واقعة من وقائع العالم، ويرى رسل أن اللغة مركبة من أجزاء وليست بالكائن الواحد البسيط. لذلك يجب تحليلها إلى أبسط صورة. فاللغة تحوى قضايا مركبة، لايقابلها وقائع مركبة فى الواقع لأن العالم قوامه بسائط، لذلك لابد من تحليل القضايا المركبة إلى قضايا بسيطة، والقضية البسيطة هى التى تشير إلى واقعة بسيطة فى الخارج. ويتوقف صدقها على مطابقتها للواقعة التى جاءت وصفاً لها، ومعنى التحليل هنا هو تحليل القضايا المركبة فى اللغة إلى قضايا ذرية بسيطة حتى يمكن مطابقتها بالواقعة واعتبار القضية الذرية البسيطة أبسط وحدات اللغة، وهى التى لايمكن أن تنحل إلى قضايا أبسط منها، يتفق مع نظرية رسل فى المعرفة. حيث يقسم المعرفة إلى معرفة "بالاتصال المباشر" ومعرفة "الوصف". والمعرفة "بالاتصال المباشر" هى المعرفة اليقينية التى يمكن التحقق منها بالخبرة المباشرة. أما المعرفة "بالوصف" فهى عملية استدلال وليست معرفة مباشرة، لذلك فالمعرفة بالاتصال المباشر هى التى تكون موضوعها حاضراً حضوراً مباشراً وهى مجرد وعى بوجود الشىء المعروف دون أن يكون هناك حكم معين، فلمعة الضوء المنبعثة من المنضدة تعتبر معرفة بالاتصال المباشر، أما المعرفة بأنها "منضدة" فهى حكم نتيجة للخبرة المباشرة وليس هو فى ذاته بالخبرة المباشرة. لذلك فإن موضوع القضية الذرية البسيطة لابد أن يكون من نوع المعرفة بالاتصال المباشر، وإما أن يكون حاضرة حسية، أو حاضرة عقلية، حتى يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب[2].

---

(١) د. زكى نجيب محمود: برتراند رسل ص١٠٤ - ١٠٧

(٢) د. زكى نجيب محمود: برتراند رسل ٦٧-٦٨.

كما يعنى تحليل اللغة فصل أجزائها حتى يمكن التثبت من صدق كل جزء منه، فإذا كانت هناك عبارة مركبة يجب تحليلها إلى بسائطها التى تتكون منها، أى تحليلها إلى القضايا الذرية التى تتألف منها ويتحتم أن يكون موضوع القضية الذرية "حاضرة حسية، أو حاضرة عقلية مما لايحتاج لإدراكه إلى شيء أكثر من مجرد الوعى بحضور "الموضوع المدرك" وبذلك يمكن بناء المعرفة الإنسانية على أساس هذه المعطيات الأولية التى يدركها الإنسان مباشرة ولاتكون موضع شك لأنها ليست بأحكام[1] ويهدف رسل من تحليل اللغة إلى التخلص من الزوائد التى قد نظن أنها أوليات تقبل بغير تحليل. ثم نتبين بعد التحليل أنها تركيبات وليست معطيات أولية. لذلك يجب حذفها من قائمة المعرفة المباشرة اليقينية واعتبارها معرفة بالوصف.

كذلك يعنى تحليل اللغة تحليل عبارات لغوية معينة، وهى تلك العبارات التى تحوى على مركبات لغوية "رموز ناقصة" وذلك إما لغموضها أو أنها قد تؤدى إلى افتراض كائنات ميتافيزيقية. وهذه الصورة من التحليل اللغوى تعنى تحليل أو ترجمة العبارات المحتوية على مركبات لغوية إلى عبارات أخرى لاتحوى على هذه المركبات ويكون لها نفس المعنى. والمركب قد يكون كلمة أو عبارة ولكنه لا يدل على شيء جزئى بطريقة مباشرة، . فمثلاً يعتبر اسم العلَّم "العقاد" رمزاً بسيطاً أما "مؤلف العبقريات" يعتبر رمزاً مركباً أو عبارة وصفية لاتدل بشكل مباشر على موضوع جزئى معين وبوجه عام تعتبر الألفاظ الكلية رموزا مركبة[2].

ويتضح هذا المعنى للتحليل اللغوى فى تحليل رسل "للعبارة الوصفية" حيث يهدف إلى التخلص من المركبات اللغوية. ويتم ذلك بوضع العبارة الوصفية، فى جملة، ثم تحليلها إلى قضايا ثلاث تختفى فيها العبارة الوصفية. وفى نفس الوقت تعتبر القضايا الثلاث تحديداً لمعنى الجملة الأصلية يقول رسل ان جملة "مؤلف ويفرلى كان اسكتلنديا" تنحل إلى ثلاث قضايا هى:

---

(١) المرجع السابق، ص٦٩

(٢) د. محمد مهران، فلسفة برتراندرسل، ص ٣٤١

١ - على الأقل شخص واحد قد كتب وفرلى.

٢ - على الأكثر شخص واحد كتب وفرلى.

٣ - أيا من كان كاتب وفر لى فهى اسكتلندى.

فهذه القضايا الثلاث جميعها تعنى الجملة الأصلية، بعبارة أخرى ان الجملة الأصلية تقتضى هذه القضايا الثلاث معاً وهذه القضايا الثلاث معاً تقتضى الجملة الأصلية، وهذه القضايا الثلاث مستقلة كل منها عن الأخرى بدليل ان صدق أو كذب واحدة، لا يعنى شيئاً بالنسبة إلى صدق أو كذب الاثنتين الأخريين[١]. والعبارة الوصفية - عامة أو خاصة- يستحيل تعريفها وهى بمفردها، لأنها تعتبر رمزاً ناقصاً، ولايكون تعريفها ممكناً إلا إذا وضعت فى عبارة، ثم تعريف القضية كلها. كذلك يؤدى تحليل العبارة الوصفية إلى نتيجة هامة حيث يؤكد رسل أنه بالرغم من أن عبارة مثل "جبل ذهبى" يمكن أن تكون من الناحية اللغوية "موضوعاً" فى قضية ما، إلا أن مثل هذه القضية إذا ما تم تحليلها بطريقة صحيحة، لن تصبح العبارة "جبل ذهبى" موضوعها. أيضاً يمكن تحليل القضية "سكوت مؤلف وفرلى إلى "س كتب وفرلى "وإلى "س هوسكوت" وبذلك يختفى اللفظ "مؤلف" تماماً[٢].

والواقع ان اعتبار معنى التحليل عند رسل، بأنه فك القضايا المركبة إلى قضايا ذرية بسيطة، وكذلك رد القضايا التى تحتوى على مركبات لغوية ورموز ناقصة إلى قضايا جديدة تختفى منها هذه المركبات، يتفق مع غرض رئيسى للتحليل عند رسل وهو الوصول إلى الحد الأدنى للمفردات. كذلك مادامت العبارة الوصفية ليست رمزا كاملاً. فلايتحتم أن يكون لها مسمى بين أشياء العالم، وبذلك يزول الإشكال المنطقى القديم، الذى حير الفلاسفة وأوقعهم فى كثير من الأخطاء وهو كيف يمكن أن يكون لدينا أسماء

---

(١) د. زكى نجيب محمود: موقف من الميتافيزيقا، ص ١٧٥

(٢) B. Russell : My Philosophical Development, P.64.

ولايكون لها مسميات؟ والذى كان سبباً فى افتراض كائنات كثيرة وهمية جعلها الميتافيزيقيون موضوعات لأبحاثهم[1].

وتعريف التحليل بأنه، رد المركبات إلى عناصرها أو تحليل قضايا اللغة لايعنى أن رسل قد فصل بين الجوانب الأنطولوچية والجوانب اللغوية حيث يؤكد على التشابه بين تركيب اللغة وتركيب عالم الواقع[2]، وتحليل العبارة الوصفية واعتبارها من أنواع المعرفة بالوصف له جانبه اللغوى والأنطولوجى، فالعبارة الوصفية ليس لها معنى إذا جاءت منعزلة وحتى إذا كانت موضوعاً لقضية ما فإنه يمكن حذفها بعد تحليل القضية. كذلك قد يكون لها معنى ولكن ليس لها مسمى موجود فى عالم الواقع.

٥ - تعقيب:

١ - ان تفسير معنى منهج التحليل عند رسل. بأنه (رد المركبات إلى عناصرها، او تحليل العبارة التى تحوى رموزاً ناقصة إلى قضايا أخرى لها نفس المعنى) لايعنى أن هذا هو التفسير الوحيد لمعنى التحليل فقد جاء هذا التفسير من استقراء لبعض المجالات التى طبق فيها رسل منهجه، وقد تم وضع هذا المعنى للمنهج التحليلى عند رسل لكونه يتسق مع نظريته فى المعرفة، حيث يذهب إلى أن للمعرفة جانبين:

١- معرفة بالاتصال المباشر، ٢ - معرفة بالوصف. كما يتفق أيضاً مع نظرته للعالم بأنه عالم من حوادث، والشىء عبارة عن سلسلة متتابعة من الحوادث. كما ينتج هذا المعنى للتحليل من نظريته فى تحليل العبارة الوصفية ونظريته فى الفئات. وأخيراً يتطابق هذا المعنى لمنهج التحليل مع الأغراض التى تم افتراضها للمنهج التحليلى عنده، وهى: التقليل من عدد الكائنات فى العالم والوصول إلى الحد الأدنى للمفردات والتقليل من احتمال الوقوع فى الخطأ.

٢ - لقد اعتبر وتيز التحليل مطابقاً للتعريف إلا أن المقصود بالتعريف هو توضيح المركب أو اللفظ أو الشىء موضوع التعريف، أو تبسيط المعنى وتوضيحه سواء بذكر

---

(١) د. زكى نجيب محمود، موقف من الميتافيزيقا، ص ١٧٨

(٢) د. زكى نجيب محمود، برتراند رسل، ص ٦٥

الصفات الأساسية للفظ، أو الإشارة إليه فى الواقع، أو تحليل المركب إلى مفاهيم جزئية. إلا أن التعريف لايهدف إلى الاستغناء عن المركب (اللغوى أو المادى) موضوع التعريف أو حذفه نهائيا[1]، كما وضح عند تحليل رسل للعبارة الوصفية واعتبارها رموزاً ناقصة لاتصلح للتعريف وحدها، ولايتحتم أن يكون لها مقابل فى الواقع، فقد تختفى العبارة الوصفية تماماً بعد التحليل كما وضح فى اختفاء لفظ مؤلف عند تحليل العبارة الوصفية مؤلف وفر لى. فرسل لم يكن يهدف إلى مجرد تعريف الجمل التى تحوى عبارات وصفية. إنما كان يحللها إلى عبارات أخرى لايظهر فيها العبارة الوصفية على الاطلاق. لذلك فإن تفسير المنهج التحليلى عند رسل بأنه تعريف لايتسق مع أغراض رسل من استخدام التحليل.

٣ - لقد اعتبر "آير" ان الهدف من التحليل هو تبرير المعتقدات بهدف تحقيق نوع من الضمان لمعتقداتنا، فالتحليل سوف يؤدى مثلاً إلى تأكيد الاعتقاد فى وجود النفس ولكن باعتبارها سلسلة من المعطيات الحسية أو الأحداث وليس باعتبارها جوهر روحانى، ومع إمكانية استقراء هذا الغرض للمنهج التحليلى عند رسل من خلال تحليله للكائنات والاعتقاد فى وجودها، حيث لايعنى رسل إنكار وجود الكائنات ولكن عدم التقرير بوجودها. إلا ان اعتبار التبرير هو الهدف من المنهج التحليلى عند رسل لايشمل كل أغراض رسل من اتباع المنهج ولايمكن اعتباره غرضاً رئيسياً من تحليل رسل "للعبارة الوصفية" أو من نظريته فى "الفئات"، كذلك لايتسق التبرير مع غرض رسل من التحليل وهو "التقليل من عدد الكائنات".

٤ - قد يعتبر التوضيح هدفاً للتحليل عند رسل. كما يمكن الاستنتاج بأنه هدف من تحليل اللغة ونظريته فى العبارة الوصفية إلى مهاجمة الميتافيزيقا واعتبارها كلاماً فارغاً حيث كثيراً من العبارات الميتافيزيقية - مثل " العقل جوهر روحانى" و"المطلق ليس له فى الزمان بداية ونهاية " - قائم على افتراض أن العبارة الوصفية تعمل عمل اسم العلم، من

---

(١) د. محمد مهران، فلسفة برتراندرسل، ص ٣٣٤.

حيث أنها تشير إلى موجودات حقيقية واقعية[1]. إلا أن رسل لم يرفض الميتافيزيقا، واعتبار تحليل العبارات الميتافيزيقية لبيان خلوها من المعنى من أهداف تحليل اللغه عند رسل، لايميز منهج التحليل عنده عن غيره من فلاسفة التحليل وفلاسفة الوضعية المنطقية.

والحقيقة ان التحليل عند رسل لا يمكن تقديم تعريف واحد له أو تحديد غرض واحد، بحيث يمكن اعتبار الهدف من التحليل هو التوضيح أو التعريف أو التبرير، فلقد استخدم رسل التحليل فى مجالات متعددة وبأغراض متنوعة مما يؤدى إلى استنتاج أكثر من هدف لمنهجه التحليلى ويوفر إمكانية اكتشاف أغراض أخرى جديدة.

(١) د. كى نحت محمود، موقف الميتافيزيقا، ص ٨٢

الفصل الثاني

المنهج التحليلي: طبيعته وخطواته

ترك رسل منهجه التحليلي دون تحديد لطبيعته أو لخطواته، وقد يؤدى ذلك إلى التساؤل حول ممارسته للتحليل، بمعنى هل مارس رسل التحليل كمنهج أو كمبدأ، ونقصد بالمنهج الطريقة المنظمة فى التفكير بحيث يمكن صياغتها وتطبيقها وتؤدى إلى أهداف محددة، وأما المقصود "بالمبدأ" فهو عبارة عن فكرة معينة يبدأ بها الباحث وتوجه طريقته فى التفكير لبلوغ أغراض معينة، دون أن يلتزم بقواعد محددة وخطوات مرتبة. فإذا ما اعتبر التحليل منهجاً أصبح لابد أن تكون له قواعد محددة وخطوات مرتبة. أما إذا اعتبر "مبدأ" أصبح من غير الضروى أن تكون له قواعد مجـدة واضحة يلتزم بها[1]. إلا أن رسل رغم عدم تحديده لطبيعة التحليل وخطواته فقد مارس التحليل كمنهج. إذ "يؤكد ان المنهج التحليلى المنطقى قد أصبح مفروضاً عليه باعتباره منهجاً محدداً ويمكن تجسيده فى قواعد، كما أنه ملائم لكل فروع الفلسفة"[2]، ولكن على الرغم من ذلك لم يذكر رسل هذه القواعد المجـدة للمنهج بصورة واضحة، كذلك يشير رسل لأهمية التحليل كمنهج حيث يقول " إن التحليل كمنهج يعد من أهم المبادئ الأولية، بل والقاعدة الأساسية التى التزم بها كل موضوعات الفكر[3]. ويمكن تفسير ممارسة رسل للمنهج التحليلى دون الاهتمام بتحديد طبيعة وخطوات هذا المنهج، بأن ذلك يرجع إلى طبيعة الموضوعات المختلفة التى يطبق عليها التحليل، مما لايفرض خطوات معينة بذاتها. أو يرتد لطبيعة رسل الفلسفية. باعتباره فيلسوفاً متجدداً لايريد أن يلزم نفسه بقواعد جامدة أو خطوات محددة. لذلك سوف يتم استخلاص خصائص المنهج وخطواته وأدواته بصورة عامة من خلال الاستخدامات المختلفة التى مارس رسل فيها منهجه.

---

(١) د، محمد مهران، فلسفة برتراندرسل، ص ٣٤٧، القاهرة.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٣١٨، نص من كتاب: برتراند رسل: " معرفتنا بالعالم الخارجى"، ص٧

(٣) B. Russell : My Philosophical Development, P98.

١ - خصائص المنهج التحليلى:

هناك خصائص تميز المنهج التحليلى بصفة عامة عن غيره من المناهج الفلسفية، وتلك الخصائص تنطبق على المنهج التحليلى بصورة عامة، بمعنى أنها لاتخص فيلسوفاً أو آخر من فلاسفة التحليل. لذلك سوف يتم تحديد خصائص منهج رسل التحليلى التى تميزه عن غيره من فلاسفة التحليل وهذه الخصائص هى:

أ - معطيات العلم ونتائجه مقومات أساسية للتحليل: تعتبر النظريات العلمية مقدمات ضرورية للتحليل، خاصة تلك التى تكون لها صلة بموضوع التحليل، وتمثل المعطيات الأولية التى يجب الالتزام بها. إذ يرى رسل" أن أهم ما يميز فلسفة التحليل المنطقى أنها فلسفة تجمع بين العلوم التجريبية وبين إنجازات العلوم الرياضية فى مجال المعرفة البشرية"[١]. وليس معنى ذلك أن فلسفة التحليل المنطقى تسعى نحو ما يسعى إليه العلم من جمع للحقائق واستدلال لقوانين، بل المقصود أنها تأخذ من العلم مبادئه وطرقه ومدركاته الكلية. فإن كان العلم يسعى لتصنيف الحقائق إلى مجموعات مستعينا فى ذلك بالقوانين العلمية، فهذه القوانين العلمية نفسها هى بمثابة المادة الخام للفلسفة[٢]. فالاعتماد على نتائج العلم يؤدى إلى حل كثير من المشكلات الفلسفية، يقول رسل"إن الفلسفة استفادت من إنجازات العلوم الرياضية. التى قام بها "كانتور" "وفريجة" حيث استطاعت التخلص من الأخطاء المنطقية حول فلسفة العدد، بل وترتب على إنجازات العلوم الرياضية وما قام به "فريجه" بالنسبة لتعريف العدد أن الرياضيات البحتة أصبحت لاتعدو إلا أن تكون امتداداً للمنطق، بل وأدى ذلك إلى بطلان نظرية "كانط" التى تعتبر الرياضيات تركيبية[٣].

كذلك أمدت الفيزياء المعاصرة فلاسفة التحليل المنطقى بالمادة الخام لفهم العالم الطبيعى، فلقد استفاد فلاسفة التحليل المنطقى من نظريات علم الطبيعة الحديث فى تحليل

---

(١) برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الجزء الثالث، ترجمة د. محمد الشيطى، ص٤٨٩، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٧، القاهرة

(٢) د. زكى نجيب محمود، برتراند رسل، ص ٣٩

(٣) برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الجزء الثالث، ترجمة د. محمد الشيطى، ص٤٩٢، وأيضاً
B. Russell: A Free Man's Worship, on scientific method in philosophy, Goerge Allen and Unwin, London, 1976, PP.115-116.

المادة والنظرية النسبية ونظرية الكم. فلقد كانت النظريات القديمة ترى أن المادة تتكون من ذرات صلبة لاتقبل الانقسام. أما الآن فأصبحت أبعد ما تكون عن تلك الصلابة المزعومة، وصارت أقرب ما تكون إلى مايقوله الروحانيون عن الروح، حيث أن العلم قد انتهى إلى تحليل المادة إلى إلكترونات وبروتونات ولم تعد المادة شيئاً صلباً متماسكاً وأصبحت الأشياء فى حقيقتها إشعاعات كهربائية. وبات الشيء سلسلة من الحوادث. . . أما نظرية النسبية فلقد تخلصت من فكرة الزمان الواحد الذى يشغل الكون كله، وفكرة المكان الواحد الذى يمتد امتداد الكون كله، فاستبدلت نظرية النسبية بهما فكرة جديدة هى فكرة المكان المندمج مع الزمان اندماجاً يجعلهما حقيقة واحدة، يكوّن فيها الزمان بعداً رابعاً يضاف إلى أبعاد المكان الثلاثة[1]،لذلك أصبح لابد من فهم العالم الطبيعى فهما جديداً على ضوء هذه التطورات المعاصرة فى الفيزياء، وأن نزيل عن عالم الطبيعة تماسكه، فالأحجام المادية ماهى إلا خط من الأحداث ذات تاريخ يمتد مع الزمن ولايمكن فهمه إلا على هذا الامتداد الزمنى المتغير لحظة بلحظة. كما يختفى الإلزام عن السببية، فحوادث الطبيعة تتعاقب بعلاقات سببية بينها، ولكن ليس هناك إلزام بين ظاهرة وأخرى. كما كنا نعتقد من قبل، بل يؤكد "رسل" على ضرورة الاعتماد على النظريات الحالية فى الفيزياء لفهم العالم الطبيعى بالرغم من التغيرات المتوقعة مستقبلاً فى علم الفيزياء ويبرر ذلك بأن هذه النظريات تعتبر أقرب إلى الحقيقة من أى مذاهب أخرى ، بل وإن لم يكن العلم فى أية لحظة صادقاً تماماً، إلا أنه من النادر أن يكون خاطئاً تماماً. لذلك تعتبر النظريات العلمية أقرب إلى الصدق من النظريات غير العلمية[2].

وقد اعتمد رسل فى حل مشكلة العلاقة بين العقل والمادة على النظريات الفيزيائية ونظريات علم النفس والفسيولوچيا، حيث يرى "بأنه إذا كانت الفيزياء قد جعلت المادة أقل صلابة (مادية) فإن علم النفس قد جعل العقل أقل روحانية وعلى ذلك يقتربا كل منهما من الآخر، وبذلك تحتل" نظرية الواحدية المحايدة" مكانها وهى تلك التى اقترحها "وليم جيمس" فى نقده للشعور[3]؟ ومؤدى هذه النظرية ان العقل والمادة ليسا ضربين من

---

(١) د. زكى نجيب محمود، برتراند رسل، ص ٩٩-١٠٩.

(٢) B. Russell : My Philosophical Development, P.13.

(٣) برتراندرسل ، تاريخ الفلسفة الغربية، ص ٤٩٦، ترجمة : محمد فتحى الشنيطى، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٧، القاهرة.

الموجودات مختلفين اختلافاً جوهرياً، بل العقل والمادة كلاهما مشتق من "هيولى" محايدة لاهى عقل ولاهى مادة، ولكن أجزاءها إذا ما ارتبطت بمجموعة معينة من العلاقات أسميناها عقلا، وإذا ارتبطت بمجموعة أخرى من العلاقات أسميناها مادة، فالهيولى المحايدة ما هى إلا الظاهرات التى تنتشر من الأشياء فى أرجاء المكان والتى يتكون منها المادة والعقل[1]. . كما استطاع رسل بهذه النظرية إلى جانب حل مشكلة ثنائية العقل والمادة، أن يقضى على فكرة العنصر الغيبى الذى كان يفترض دائماً عند تفسير الأشياء والأحياء. وأن يتمكن من حل المشكلة الفلسفية القديمة حول نسبية الإدراك الحسى.

والحقيقة ان اعتبار نتائج العلم قاعدة أساسية للبحث الفلسفى، تجعل من التحليل منهجاً لايتوقف عند حد معين. بل يظل التحليل عملية دائمة مستمرة. وإن كان من الممكن أن يتوقف فى حدود النظريات العلمية المتوفرة حالياً، إلا أن موضوع التحليل يمكن تناوله مرة أخرى مع كل كشف علمى جديد، وليس معنى ذلك أن تصبح مهمة الفلسفة تتبع مناهج العلم أو بحث موضوعاته أو أن تعتبر نظرياته صادقة صدقاً كلياً، ولكن لابد وأن تكون معطيات العلم ونتائجه من المعطيات الأولية للبحث الفلسفى.

ب- الاستفادة من مبادئ المنطق ونظرياته: يعطى التحليل للمنطق أهمية رئيسية، حيث يجب اتخاذ مبادئ المنطق ونظرياته أساساً للبحث الفلسفى بقدر ما تسمح به طبيعة الأشياء، ويتم ذلك باستخدام بعض النظريات المنطقية عند تناول المشكلات الفلسفية، . أو بمحاولة تطبيق تلك النظريات على مشكلات البحث. ولقد طبق رسل بعض النظريات المنطقية مثل نظريته فى تحليل القضايا والنظرية الوصفية ونظرية الأنماط المنطقية على بعض المشكلات الفلسفية، على الرغم من أن هذه النظريات تشكل جانباً أساسياً من جوانب المنطق الرمزى وفلسفة الرياضيات.

فتحليل القضايا عند رسل يعد بمثابة تصنيف للصور المنطقية للقضايا. حيث صنف القضايا المنطقية إلى صورة القضية الشخصية وصورة القضية العامة وصورة القضية الوجودية وصورة قضية العلاقة وصور عديدة للقضية المركبة، وعلى الرغم من أن ذلك تصنيف منطقى بحت، إلا أنه يمكن الإفادة منه فى بعض المشكلات الفلسفية من حيث إيجاد العلاقة بين صنف من القضايا والوقائع التى تدل عليها. . فالقضية العامة مثلاً،

---

(١) زكى نجيب محمود، برتراندرسل، ص ١١١.

ليست قضية حملية بالمعنى التقليدى، وإنما تعتبر قضية شرطية متصلة. ومن ثم لايتحتم أن يكون لموضوعها وجود واقعى، كذلك القضية الوجودية التى يكون موضوعها إسم علم مثل «العقاد موجود» تعد مثلا لسوء استخدام اللغة، لأنه لامعنى لاسم العلَّم إلا إذا كان مسماه موجوداً. وعلى ذلك يعد المحمول هنا زائداً. إما إذا كانت القضية الوجودية موضوعها لفظا عاما مثل «البشر موجودون» فالوجود هنا لايعنى وجوداً واقعياً محسوساً، وإنما يعنى أنه يمكن التفكير فى صنف البشر ومن ثم نتفادى ابتكار وجود واقعى للأصناف[1].

أما نظريته فى تحليل العبارة الوصفية فلقد استخدمها لحل كثير من المشكلات الفلسفية، فالعبارة الوصفية تنقسم إلى عبارة وصفية عامة[2] وعبارة وصفية خاصة. فالعبارة الوصفية الخاصة تختلف عن القضية التى يكون موضوعها إسم علم، فمثلاً العبارة الوصفية الخاصة «مؤلف كتاب الأيام» تختلف عن القضية التى تحوى إسم العلم "طه حسين"، وذلك على الرغم من أن العبارة الوصفية الخاصة هنا ترمز إلى نفس الفرد الذى يرمز إليه اسم العلم، إلا أنها ليست مساوية لاسم العلم تماماً. لأنه إذا كانت العبارة مؤلف كتاب الأيام مساوية تماماً فى كل الوجوه للاسم "طه حسين" ليس هو نفس المعنى المقصود من القول "ان طه حسين هو طه حسين"، وذلك أنه فى العبارة الأولى نذكر حقيقة من حقائق التاريخ الأدبى وفى الحالة الثانية نقول عبارة جوفاء، لذلك لابد أن يكون للعبارة الوصفية الخاصة تحليل غير تحليل اسم العلم[3].

ويوضح رسل الفرق بين العبارة الوصفية الخاصة أو التى تحوى وصفاً محدداً وبين اسم العلم من خلال المثال، "مؤلف وفرلى هوسكوت"، بأن من الممكن القول أن "مؤلف وفرلى موجود ولكن فى قولنا أن سكوت موجود، فذلك تركيب لغوى سيء وسوء استخدام للغة[4]. ومعنى ذلك ان اسم العلم يكون دالاً حقاً على وجود مسماه، لأنه إذا لم يكن هناك فرد معين بذاته موجوداً وجوداً واقعياً، لما أمكن من الوجهة المنطقية أن نطلق عليه اسماً، وذلك لأن الكائن الفرد يوجد أولاً ثم نطلق عليه اسمه المميز ثانياً،

---

(١) د. محمود زيدان: مناهج البحث الفلسفى، ص ١٠٦، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٧، القاهرة.

(٢) سبق شرح العبارة الوصفية العامة فى الفصل السابق

(٣) د. زكى نجيب محمود، موقف من الميتافيزيقا، ص ١٧٢، شرح النظرية تحليل العبارة الوصفية عند رسل

(٤) برتراندرسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الجزء الثالث، ص ٤٩٣

أما العبارة الوصفية الخاصة ليس بالضرورة أن يكون لها مسمى فى عالم الواقع وتطبيق نظرية تحليل العبارة الوصفية يقضى على كثير من المشكلات الفلسفية التى كانت ترجع فى حقيقتها إلى التوحيد بين العبارة الوصفية الخاصة واسم العلم[1].

كما يرى رسل أن النظرية الوصفية قد مكنت من التخلص من المشكلات الفلسفية التى نشأت بسبب سوء تركيب اللغة، وخاصة تلك المشكلات التى تتعلق بالوجود فسوء التركيب اللغوى يجعل هناك اعتقاداً بوجود أفراد فى الواقع ليس لهم وجود حقيقى، فعبارة مثل "الجبل الذهبى لايوجد"، قد تؤدى إلى أن ننسب نوعاً من الوجود لما يسمى "الجبل الذهبى"، بل وواضح أننا لانسب نفس الحكم عند القول "المربع الدائرى لايوجد"، بل قد يبدو أن الجبل الذهبى شىء والمربع الدائرى شىء آخر، وفى الحقيقة لايوجد أى منهما فى الواقع: ولكن بمقتضى تطبيق هذه النظرية فإن مثل هذه الجمل التى تحتوى على عبارات وصفية تختفى منها هذه العبارات بمجرد تحليلها[2]، وبذلك تؤدى النظرية الوصفية فى تحليل العبارة الوصفية إلى التخلص من التراكيب اللغوية التى كانت سبباً فى خلق كثير من المشكلات الفلسفية المتعلقة بالوجود.

أما نظرية رسل فى "الأنماط المنطقية" فقد أدت إلى حل كثير من مشكلات الميتافيزيقا التى كانت تحدث بسبب الغموض أو الخطأ فى التعبير، والمقصود بالنمط المنطقى هو مجموع الأشياء التى إذا أخذنا منها واحداً، لنضع اسمه مكان رمز مجهول فى دالة قضية، أصبح لدينا قضية ذات دلالة، مفهومة سواء كانت صادقة أو كاذبة. وقد يكون النمط المنطقى أفراداً أو فئاتاً، ويمكن أن يكون الفرد الواحد فرداً فى سياق وفئة فى سياق آخر، ولكن يجب إذا اعتبر فردا أن يظل من أول السياق إلى آخره فرداً، ولايجوز التحول وسط الحديث إلى اعتباره فئة مكونة من أفراد كثيرة. فإذا وردت كلمة "إنسان" فى سياق معين على أنها فئة أفراد، فإنها تكون بمثابة دالة قضية هى "س انسان، وتصلح أن توضع مكان س كل أسماء أفراد الإنسان إذا ما تم وصف فئة الإنسان بأنه عاقل فى العبارة "الإنسان

---

(١) د. زكى نجيب محمود، موقف من الميتافيزيقا، ص ١٧٣

(٢) برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الجزء الثالث، ص ٤٩٢

عاقل" فلابد من فهم العبارة بأنها دالة قضية "س إنسان" وهو عاقل" والقيم التى تملأ دالة القضية هنا هى كل أفراد الإنسان، ولكن إذا كان هناك تصور بأن عاقل تصفه إنسانا، فذلك نوع من الخلط بين نمط وآخر فما يصلح للسياق فى نمط مالايصلح لنمط سواه، وصفة "عاقل" هنا جاءت لتصف أفراداً فلايجوز أن تنقل من دائرة الأفراد لدائرة الفئات ولقد حدث مثل هذا الخلط عند أفلاطون. فالكلمة التى تكون اسماً لفئة فى سياق ما. يجعلها فى نفس السياق اسماً لفرد واحد. حيث يقول أن "سقراط إنسان" على اعتبار أن الإنسان فئة من أفراد من بينهم "سقراط" ثم يعود ويقول ان "الإنسان اسم لفرد مثالى واحد ولافرق بين أن يجعل سكنى هذا الفرد المثالى فى الأرض أو فى السماء فيكفى أنه قد تصوره فرداً، بعد أن جعله فئة من أفراد، ويمكن اعتبار أن طائفة كبيرة من أخطاء الفلاسفة الميتافيزيقيين تنشأ بسبب خلطهم الأنماط الكلامية بعضها ببعض[1].

والواقع ان هذه النظريات الثلاث رغم أنها تمثل نظريات أساسية فى المنطق والرياضيات، كانت تظهر دائماً من خلال تطبيقها على المشكلات الفلسفية التى كان يتناولها رسل بالتحليل، وان كان عرضها هنا لايشمل كل التطبيقات التى مارسها رسل. فلقد حاول تطبيق بعضها فى دراسته العالم الخارجى وغيرها من الموضوعات الفلسفية. لذلك السمة الواضحة أنه كان يحاول الإفادة من نظريات المنطق والرياضة فى دراسته للفلسفية. وإن كان لايعنى ذلك ان النظرية الفلسفية يجب أن تكون صادقة دائماً، ولكن يجب الاعتماد على النظريات المنطقية واتخاذ مبادئ المنطق أساساً للبحث الفلسفى.

جـ- تقسيم المشكلات وتمييزها: تعتبر عملية التقسيم والتمييز لعناصر المشكلة موضوع البحث، هى السمة المميزة للمنهج التحليلى، بل وتكمن كثير من مشكلات الفلسفة المثالية. فى أنها تتناول المشكلات جميعاً على أنها مشكلة واحدة. فقد كان الفلاسفة الميتافيزيقيون يعنون باقامة بناءات فلسفية متسقة، يحاول البناء الواحد منها أن يشمل الكون كله بمن فيه ومافيه كأنه حقيقة واحدة بغير تجزئة ولافواصل. لذلك كان الفيلسوف منهم يبدأ بفكرة مركزية أو مبدأ معين يتخذه أساساً يفسر فى ضوئه كل الموجودات والمشكلات، فمثلا كانت فكرة العنصر القبلى فى خبرتنا بالعالم المحسوس فكرة مركزية فى فلسفة كانط. كما كانت فكرة التطور الجدلى متغلغلة فى كل مذهب

(١) د. زكى نجيب محمود، موقف من الميتافيزيقا، نظرية الأنماط المنطقية عند رسل، ص ١٩٠ - ١٩٤.

هيجل، ولقد لاحظ "رسل" أن الفلسفات المثالية لم تحرز تقدماً. لأن الفيلسوف المثالى، كان يتناول المشكلات جميعاً وكأنها مشكلة واحدة. فإذا جاء فيلسوف مثالى آخر بمبدأ مختلف بدأ من جديد ولايكمل ما انتهى إليه سلفه. وتتمثل قيمة التحليل فى عملية تقسيم المشكلة الفلسفية التقليدية إلى عدد كبير من المشكلات الجزئية المتغير بعضها عن بعض. وصياغة كل منها بصورة بسيطة وواضحة. ويرى رسل: "ان فرق تسد" مبدأ مثمر فى الفلسفة: كما هو كذلك فى ميادين أخرى[1]". وتقسيم المشكلة إلى عدد من المشكلات الجزئية، يحقق فهما أدق للمشكلات، وإلى إمكانية تحقيق تقدماً فى حلها.

ان تقسيم المشكلة وتمييز أجزائها إلى مشكلات جزئية، يؤدى إلى القدرة على أن نحدد، أى منها يمكن أن نجد حلا لها، عن تلك التى لانجد لها حلا، بمعنى أنها ليست مشكلة فلسفية على الاطلاق. حيث يرى رسل "أنه حيث يتم تحليل أى مشكلة من مشكلات الفلسفة التقليدية فإنها تظهر فى حقيقتها على أنها مشكلة منطقية أو أنها ليست مشكلة فلسفية على الاطلاق[2]" ويعنى ذلك ان فرز وتقسيم عناصر المشكلة قد يقضى على المشكلة، وبالتالى ليس هناك ضرورة فى البحث عن إجابات لها. كما يعنى تقسيم المشكلة أن نصل إلى التميز بين تلك الأجزاء التى تحتاج للتدليل والبرهان، عن تلك التى لا تحتاج.

كما أن تقسيم المشكلة إلى أجزاء يجعل من التحليل منهجاً يؤدى إلى تواصل البحث الفلسفى، وإلى أن يبدأ الفيلسوف حيث انتهى سلفه سواء بالإصلاح أو بالتطوير، وبذلك يقترب التحليل من المنهج العلمى، ذلك المنهج الذى أحرز تقدماً فى العلم. كذلك ليس بالضرورة أن يقدم التحليل إجابات محددة للمشكلة موضوع البحث، فقد تتلاشى المشكلة بمجرد تحليلها، أو قد تتوقف مهمة التحليل عند التوضيح لمعرفة المزيد من التفصيلات حول المشكلة، ويقول رسل حول مشكلة معرفتنا بالعالم الخارجى" ان معالجتى لهذه المشكلة لايهدف إلى تقديم إجابة محددة لها بل تحليل المسائل التى تتضمنها

---

(1) B. Russell A Free Man's Worship, on Scientific method in Philosophy, PP. 111-112.

(٢) د. زكريا ابراهيم دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص٢٣٣، نص من كتاب برتراندرسل معرفتنا بالعالم الخارجى، ص ٦٢، مكتبة مصر، القاهرة

ومعرفة أى من هذه المسائل تحتاج إلى التدليل[1]، لذلك لايؤدى التحليل بالضرورة إلى نتائج يقينية وإجابات محددة، بل إنما قد يمهد للوصول إلى الإجابات فيما بعد. والتردد الذى قد نصل إليه نتيجة للتحليل. يعتبر أفضل من التعميمات السريعة وإدعاء الوصول إلى اليقين بلا أساس.

د- الموضوعية:

التحليل يجعل من الفلسفة بحثاً نظرياً خالصاً فى الأشياء والعالم، حيث يجب اتصاف البحث الفلسفى بالنزاهة والموضوعية، فكثير من المشكلات الفلسفية الغامضة كانت بسبب عدم توفر الموضوعية عند تناول هذه المشكلات، ويرى رسل "ان تاريخ الفلسفة كله قد تألف من جزئين امتزجاً بصورة تعسفية، الأول نظرية تنصب على طبيعة العالم، والثانى نظرية أخلاقية وسياسية تنصب على أفضل طرق الحياة. ولقد كان عدم الفصل بين هذين الجانبين مصدراً للخلط والتشويش، فلقد جعل الفلاسفة من "أفلاطون إلى "وليم جيمس" آرائهم الميتافيزيقية عن تكوين العالم، تتأثر ببعض معتقداتهم الأخلاقية، بل كانوا يخترعون حججاً بالغة السفسطة، لكى يثبتوا أن هذه المعتقدات صادقة. والواقع أن ذلك كان يبعد الفيلسوف عن البحث المنزه عن الحقيقة، فحين يزعم فيلسوف ان بعض الاعتقادات تكفل حياة الفضيلة، دون أى نوع من التحقق، لمعرفة ما إذا كانت صادقة أو كاذبة، يضيق مجال الفلسفة ويجعلها تافهة، ويؤدى إلى وضع قيود حول متابعة البحث عن الحقيقة، سواء كانت هذه القيود شعورية أولاشعورية. ولقد جعلت هذه الاعتقادات الأخلاقية مهمة الفلسفة تتحول إلى البحث عن أدلة على الخلود وإثبات وجود الله. إن الفلاسفة من عصر أفلاطون اعتبروا مهمة الفلسفة إثبات صدق القضايا الدينية، وكل فيلسوف يحاول أن ينقض أدلة الآخر، فالقديس "توماس" يرفض أدلة "القديس أنسلم" و"كانط" يرفض أدلة "ديكارت"، والمشكلة أن كلا منهم حين يود أن يثبت صحة أدلته. كان عليه أن يبتعد عن طريق المنطق أو يجعل الرياضيات صوفية أو يعتبر الأحكام القبلية مرسلة من السماء[2]، لذلك يجب أن تتخلص الفلسفة من النزعات الوجدانية، ولابد أن تتجاوز مرحلة التصورات الميتافيزيقية العاطفية التى يقتصر فيها

---

(١) د. محمد مهران، فلسفة برتراندرسل، ص ٣٤٨، نص من كتاب رسل "معرفتنا بالعالم الخارجى"، ص٧٢

(٢) برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الجزء الثالث، ص ٤٩٨.

الفيلسوف على تصور الكون كما يحلو له وإذا أمكن تحقيق ذلك، فإنه يمكن الوصول إلى فلسفة علمية، يكون قوامها الحياد الخلقى ورائدها النظر إلى الظواهر دون التأثير بمعتقداتنا الوجدانية ومطالبنا العاطفية وعقائدنا الدينية.

ولما كانت الموضوعية سمة من سمات المنهج العلمى، فإن تحققهما يجعل الفلسفة تقترب من العلم، ويتفق ذلك مع تصور "رسل" للفلسفة، وإن كان يرى أن الفلسفة قد تشبه الدين من حيث أنها تدرس طبيعة الكون وتحاول التعرف على مكان الإنسان فيه، إلا أنها تشبه العلم أيضاً من حيث أنها تحاول حل المشكلات التى تلتقى بها عن طريق المناهج العقلية الصرفة. ولايعنى "رسل" عندما يتحدث عن العلم، أن يقصد العلوم الطبيعية أو غيرها من العلوم التجريبية. بل يعنى العلوم الصورية كالرياضة والمنطق وهى تلك العلوم التى يمكن أن تحقق الموضوعية، حيث يتعامل الفكر مع مجردات فتصبح قضايا الفلسفة أشبه بالقضايا الرياضية والمنطقية، حيث لاسبيل إلى إثباتها أوضحدها عن طريق البنيات التجريبية لأنها قضايا عامة[1].

والتحليل يحقق الموضوعية للبحث الفلسفى، حيث يرفض إقامة أنساق أو بناءات فلسفية ميتافيزيقية تستند على معتقدات الفيلسوف الخلقية، بل يؤدى إلى تقسيم المشكلات ومعالجتها واحدة بعد الأخرى، وبذلك يتحقق للبحث الفلسفى الحياد والموضوعية. حيث تكون نتائجه جزئية ويمكن التحقق من صدقها. وذلك يختلف عن الفلسفة التقليدية التى كانت تنتهى إلى عموميات، أو أنها كانت تعالج المشكلات كأنها مشكلة واحدة. مما يؤدى إلى صعوبة التحقق من صدقها، ويعيق تقدم الفلسفة، لذلك فالموضوعية هى التى تمكن الفلسفة من أن تصبح علماً وأن تحقق تقدماً فى حل مشكلاتها. فالبحث الفلسفى يجب ألا يتأثر بأهواء وميول الفليسوف أو بمعتقداته الخلقية، ولايهدف إلى إتباع ميول معينة، ويجب توخى الصدق العلمى والاستناد فى معتقداتها على الملاحظات والاستدلال والتى يجب أن تكون حيادية بعيدة عن التحيز، ويرى "رسل" أنه رغم عدم قدرة العقل البشرى على تقديم إجابات مثمرة لكل المسائل الهامة بالنسبة للجنس البشرى، إلا أنه ليس هناك ثمة طريقاً أعلى للمعرفة نستطيع أن نكشف به الحقائق المحجوبة عن

---

(٢) د زكريا ابراهيم، دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص ٢٢٦

العلم والعقل[1]، فالموضوعية هى التى تمكن الفلسفة من أن تصبح علماً لا تتأثر بأهواء وأمزجة الفلاسفة.

٢ - خطوات المنهج التحليلى:

لم يترك رسل خطوات منظمه لمنهجه، أو قواعد ثابتة يجب الالتزام بها، إلا أنه يمكن تحديد خطوات عامة للمنهج من خلال استخدامه له فى الموضوعات المختلفة.

أ - الشعور بمشكلة فلسفية: تتمثل أولى خطوات المنهج فى بداية الإحساس بوجود مشكلة محيرة تحتاج إلى حل، أو الشعور بأن هناك موقف غامض يحتاج إلى توضيح، يقول رسل موضحاً بداية شعوره بمشكلة معينة "بأنه يبدأ من تلك الحالة التى أشعر فيها بشىء غامض ولكنه محير، بل ويبدو أنه شىء لا سبيل إلى الشك فيه، ولكن لا أستطيع التعبير عنه بدقة، ثم أمضى فى عملية تشبه رؤية شىء بالعين المجردة، ثم فحصه بعد ذلك تحت الميكروسكوب، فتظهر لى بتركيز الانتباه تفصيلات وتمييزات لم تكن واضحة من قبل، ويمكن تشبيه ذلك بأنه عند فحص الماء العكر تحت الميكروسكوب تظهر الباسيليات، التى لم تكن تراها العين المجردة[2]، فالشعور بالغموض حول موضوع معين يسبب الإحساس بالرغبة فى معرفة تفصيلات أكثر حوله، لذلك يؤكد رسل ان البحث الفلسفى يبدأ من تلك الحالة العقلية التى تتمثل فى الإحساس بعدم الإشباع وحب الاستطلاع، والتى نشعر فيها باليقين التام ولكن لانستطيع تحديد ذلك الذى تكون على يقين به[3]، فالشعور بالمشكلة يتم داخل الشعور الذاتى للباحث، ويكون على يقين بها ولديه اعتقاد فى صحتها، إلا أنه يشعر بغموضها وعدم وضوحها وبرغبة فى معرفة تفصيلات أكثر. لذلك لايبدأ التحليل من الشك المطلق ولكن من الرغبة فى إزالة الغموض. ويمكن اعتبار هذه الخطوة مشابهة للشك المنهجى بمعنى أنه شك من أجل الوصول إلى اليقين.

ب - دراسة المعطيات الأولية: تعتبر المعطيات الأولية المادة الخام التى يبدأ منها البحث الفلسفى، والتى تتمثل فى مجموع المعارف والمعتقدات المألوفة. وغالباً ما تكون

---

(١) برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الجزء الثالث، ص٤٩٩.

(٢) B. Russell : My Philosophical Development, P.98.

(٣) Ibid., P.99.

تلك المعارف والمعتقدات غامضة ومركبة ، ويرى رسل "اننا يجب ألا نسلم بصدقها دون مناقشة، إنما يمكن اعتبارها نقطة بداية للبحث ثم نشرع فى تحليلها لعزل العناصر الصادقة عما هو خاطئ أو حشو لاضرورة له، وقد يؤدى تحليلها للشك فيها جميعاً. ولكن لايعنى ذلك الوصول إلى الشك المطلق فى كل معتقداتنا المألوفة. إنما الشك هنا عبارة عن محاولة للبحث عن اليقين[١] ويبدأ رسل فى دراسة المعارف المألوفة والمعطيات الأولية بخطوة شبيهة بمنهج "ديكارت" حيث يقرر "اننا يجب أنت نبدأ بالعناصر الأقل عرضه للشك ونرى بعد ذلك مايمكن أن يبنى عليها من معلومات أو مايستدل منها[٢]. والعناصر التى لا تكون موضع شك، هى تلك التى يدركها الإنسان إدراكاً مباشراً، وتكون من نوع المعرفة بالاتصال المباشر، لأنها هى. المعرفة اليقينية وليست بأحكام قد نصيب فيها أو نخطئ، حيث قسم رسل المعرفة إلى نوعين: ١ - معرفة بالاتصال المباشر، ٢ - معرفة بالوصف. وتكون على معرفة بالاتصال المباشر بشىء ما. إذا كنا نعى هذا الشىء وعياً مباشراً، ودون أن تتوسط فى ذلك أى عملية استدلالية أو أى معرفة بحقائق. أما المعرفة بالوصف هى معرفة تركيبية استدلالية[٣].

إلا أن ما قد نعتبره "عناصر أولية عند بحث موضوع ما، لايعنى أنها لن تخضع للتحليل فيما بعد، أو أنها لايمكن أن تنحل إلى أبسط منها. لذلك يجب أن نظل نختبرها دائماً، فقد يمكن أن نكتشف فيما بعد أنها تركيبات منتجة، وليست بالعناصر الأولية التى لاتقبل التحليل. فإن رسل نفسه عندما حدد المعطيات الأولية التى اعتبرها أساسا للمعرفة الإنسانية، لم يقتصر بادئ ذى بدء على المعطيات الحسية. بل أضاف إليها أوليات أخرى كإدراكنا للعلاقات وإدراكنا للمعانى الكلية، وإدراكنا للذات العارفة[٤]. إلا أنه قد عاد بعد ذلك وبدأ يحذف من قائمة هذه المعطيات الأولية المعانى الكلية والذات الإنسانية، بعد أن تبين له أنها "تركيبات منتجة، وليست بالمعطيات الأولية. ويجب حذفها من قائمة المعرفة بالاتصال المباشر إلى قائمة المعرفة بالوصف. وتوضح تلك العملية مدى ولاء

---

(١) د. محمود زيدان، مناهج البحث الفلسفى، ص١٠٩، نص من كتاب "برتراند رسل، معرفتنا بالعالم الخارجى، ص ٧٢-٧٣" ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧.

(٢) A.J.Ayer: Bertrand Russell, The Viking Press. London, 1972. P.30.

(٣) د. زكى نجيب محمود، برتراند رسل، ص ٧٦

(٤) المرجع السابق نفسه، ص٦٩، موقف رسل من المعطيات الأولية فى كتابه مشكلات الفلسفة

رسل لمبدأ "أوكام" حيث يسعى دائماً للتخلص من الفروض الزائدة والاستغناء عن المركبات[1]. وعلى ذلك فإن مجموع معارفنا الأولية يجب أن تخضع باستمرار للشك، وأن تبقى منها ما هو بسيط وواضح، وحتى تلك المعارف التى نكون قد تأكدنا من صحتها يجب أن يعاد فحصها باستمرار. وربما يتضح فيما بعد أنها قد تقبل التحليل وليست بسيطة بذاتها بل يمكن تحليلها لما هو أبسط منها.

جـ- حل المركب إلى عناصره: يتم تحليل المركبات إلى عناصرها البسيطة والمقصود بالعناصر البسيطة هى تلك التى يمكن معرفتها بطريقة مباشرة. ففى مجال اللغة تعتبر القضايا الذرية البسيطة، هى البسائط التى تتألف منها المركبات. أما بالنسبة للأشياء تعتبر الحوادث هى العناصر البسيطة التى تتكون منها، ولقد وضح ذلك فى تحليل رسل للعالم المادى والذهنى، فاعتبر الأحداث هى العناصر البسيطة التى يتكون منها العالم المادى والذهنى[2]. إلا أن العناصر البسيطة التى قد تصل إليها عند تحليل مركب ما. لايعنى أنها بسيطة بصورة مطلقة ونهائية، بل قد يظهر بعد ذلك أنها يمكن تحليلها لعناصر أبسط منها، لذا يجب اعتبار البساطة نسبية.

يقول رسل "يمر تحليل بناء معين بمراحل متلاحقة، وما يبدو أنه بسيط وغير قابل للتحليل فى مرحلة من مراحل التحليل، قد يظهر هو نفسه فى المرحلة التالية بأنه مركب وقابل للتحليل، ويعنى ذلك أن ما قد يعتبر غير قابل للتحليل فى مرحلة ما قد يكتشف فيما بعد أنه قابل للتحليل[3] لذلك تعتبر العناصر بسيطة بسبب عدم وجود إمكانية للاستمرار فى التحليل أبعد من ذلك فى مرحلة ما، ولكن لايعنى ذلك أنها لاتقبل مزيداً من التحليل فى مرحلة تالية إذا توفرت الإمكانية لإجرائه.

د - المطابقة بين المركب وعناصره: بعد تحليل المركب إلى عناصره البسيطة، نبدأ بمحاولة تحقيق التطابق بين المركب وعناصره، فإذا ما تم تحقيق الهوية بينهما، يتم الاكتفاء بتقرير العناصر باعتبارها الأوليات اليقينية التى نكون على معرفة مباشرة بها، وحذف المركب الذى تم تحليله، وتنتفى ضرورة تقرير وجوده إلى جانب هذه العناصر بذلك يتحقق مبدأ الاقتصاد، فمثلاً إذا تم تحليل الشىء المادى إلى فئة مظاهره، فليس هناك

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص٧٧.

(٢) د. محمد مهران، فلسفة برتراندرسل، ص ٣٥١.

(٣) B. Russell : My Philosopjical Development,P.165.

ضرورة لافتراض وجود شيء إلى جانب فئة المظاهر. كذلك بعد تحليل الجملة التى ترد بها عبارة وصفية إلى عدة قضايا تكفائها فى المعنى، أصبح من الممكن الاستغناء عن العبارة الوصفية التى جاءت هذه القضايا تحليلاً لها. وان كان يمكن اعتبار المطابقة هنا قد تأخذ صورة التعريف كما فى تعريف الشيء المادى، أو صورة التكافؤ، كما تم فى تحليل العبارة الوصفية فإن هذه الخطوة النهائية للتحليل تؤدى إلى إمكانية التخلص من المركبات اللغوية الغامضة، ومن الكائنات بعد أن أصبح لاضرورة هناك لافتراضها أو تقرير وجودها. وبذلك يتحقق هدف رئيسى من أهداف التحليل، وهو الذى يقضى بالتقليل من عدد الكائنات فى العالم والوصول إلى الحد الأدنى من المفردات[1].

تمثل تلك الخطوات المستنتجة للتحليل خطوطا عامة لخطوات المنهج كما مارسه رسل. وقد يمكن تحديد خطوات أخرى للمنهج بصورة أكثر تفصيلاً، خاصة إذا تم استنتاجها من خلال دراسة رسل لمشكلة فلسفية واحدة ومحددة، كدراسته مثلا لمشكلة معرفتنا للعالم الخارجى. ولكن يمكن اعتبار أن تلك الخطوات العامة التى تم استنتاجها، تتسق مع معنى التحليل، وأهدافه التى تم افتراضها من خلال ممارسة رسل للمنهج بصورة عامة.

٣ - أدوات التحليل:

تعتبر قاعدة نصل أوكام «واللغة المثالية آداتين رئيسيتين استعان بهما رسل لتطبيق منهجه التحليلى:

أ - قاعدة نصل أوكام: تسمى قاعدة نصل أوكام نسبة إلى "وليم الأوكامى" الفيلسوف الأنجليزى الذى عاش فى النصف الأول من القرن الرابع عشر ويقول رسل شارحاً للقاعدة "إن أشهر مايعرف به أوكام مبدأ لايرد فى كل مؤلفاته ولكنه اتخذ اسم نصل أوكام، ومؤدى هذا المبدأ "ان لاينبغى أن تتكاثر الكائنات بغير موجب"، فعلى الرغم من أن أوكام لم يقل هذا، فقد قال شيئاً شديد الشبه به من حيث معناه، إذ قال "إذ أمكنك أن تكتفى بالعدد الأقل فمن العبث أن تستخدم عدداً أكبر"، ومعنى ذلك أنه إذا أمكن تعليل كل الحقائق فى علم من العلوم دون ضرورة فرضنا لوجود هذا الكائن أو

---

(١) د. محمد مهران، برتراند رسل، ص ٢٥٣

ذاك، فلامبرر لعرض وجوده. ولقد وجدت أن هذا المبدأ مفيد أكبر الفائدة فى التحليل المنطقى الذى قمت به[1]. والواضح من تفسير رسل لقاعدة "نصل أوكام" ينبغى ألا تعدد الكائنات بلا ضرورة، أنه يعتبرها قاعدة منطقية منهجية تهدف إلى التقليل من الفروض التى لاتدعو الحاجة إليها، ولم ينظر إليها رسل بالمعنى الميتافزيقى لها، أى لم يهدف "رسل" من استخدام القاعدة إلى إنكار وجود الكائنات المتيافزيقية، ولكن كان يفهم القاعدة على اعتبار أنها تؤدى إلى إسقاط الحجج التى تقرر وجود هذه الكائنات، حيث يقول رسل فى وصف لتطور ثورته على الفلسفة الهيجلية "لقد زودنى نصل اوكام بصورة واضحة للحقيقة، ولا أعنى أنه يمكن أو يحقق البرهنة على إنكار الوجود الحقيقى للكائنات التى قد تبدو غير ضرورية، ولكن أقصد ان هذه القاعدة - نصل أوكام - قد قضت على الحجج التى كانت تؤكد وجود هذه الكائنات وجوداً حقيقا"[2].

ولقد استخدم رسل قاعدة نصل اوكام باعتبارها قاعدة منهجية تهدف إلى التقليل من "الفروض" التى تعد ضرورية لإقامة أى علم من العلوم، إذ يقول "لقد أصبحت مقتنعاً بفائدة هذه القاعدة (نصل أوكام) من خلال دراستى لفلسفة الرياضة، واكتشفت تطبيقاً جديداً لها عند دراسة العالم الطبيعى حيث أصبح من الممكن إقامة علم الفيزياء دون ضرورة "الافتراض" بأن النقاط واللحظات من الكائنات الأساسية لبناء العالم. وعلى ذلك أصبحت الحوادث التى تشغل حيزاً محدوداً من الزمان والمكان هى التى تشكل المادة الخام للعالم الطبيعى. ولما كان تطبيق قاعدة نصل أوكام لايفرض ضرورة وجود الكائنات التى يمكن الاستغناء عنها، إنما يحقق فقط الامتناع عن تأكيد وجودها، فإنه يصبح من المستحيل البرهنة على عدم وجود النقاط واللحظات، ولكن من الممكن أن نبرهن على أن علم الفيزياء لايفرض ضرورة وجود هذه الكائنات[3]، والواضح أن رسل قد استخدم القاعدة فى مجال الرياضيات ومجال الفيزياء ودراسة العالم الطبيعى باعتبارها قاعدة منهجية تؤدى إلى التقليل من الفروض وإلى إمكانية التقرير والبرهنة على عدم ضرورة وجود كائن ما دون إنكار وجود هذا الكائن من الناحية الميتافيزيقية.

---

(١) برتراندرسل، تاريخ الفلسفة الغربية - الجزء الثانى، ص٢٦٤، ترجمة د. زكى نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة - القاهرة ١٩٦٨.

(٢) B. Russell. My Philosophical Development, P.49.

(٣) Ibid. P.10.

وقد طبق رسل قاعدة "نصل أوكام" فى دراسته للرياضيات حيث انتهى فى تحليل العدد إلى اعتباره فئة من الفئات. ولما كانت الرموز الدالة على فئات "رموز ناقصة" أى أنها ليست بذات معنى فى ذاتها، ولايكون لها مدلولها إلا إذا جاءت جزءاً من عبارة، فليست ثمة ضرورة عقلية تحتم جعل الأعداد الأصلية كائنات مستقلة بذاتها. ولم يتبع رسل فى الوصول إلى هذا البرهان شيئاً من الميتافيزيقا. إنما اعتمد على ما أطلق عليه "الألفاظ الأولية" وهى الحد الأدنى من الكلمات التى يمكن جعلها أساساً لكل العلوم، وهى الكلمات التى لاتغنى فيها واحدة عن الأخرى، ولايمكن تعريف واحدة بواسطة أخرى. بذلك يمكن رد الرياضيات إلى المنطق وتصبح الرياضة استمراراً للمنطق، ويكون كلاهما قائماً على مجموعة واحدة معينة من الألفاظ الأولية، هى التى لابد منها للسير إلى قضايا المنطق أولا فقضايا الرياضة بعد ذلك وبهذا يمكن الاستغناء عن افتراض وجود الأعداد ككائنات قائمة بذاتها وردها إلى ألفاظ أولية مستخدمة فى علم المنطق. وكل ذلك قائم على تحليل منطقى لاشأن له بالميتافيزيقا ومجالها[1].

كذلك تتفق نظرية رسل فى تحليل العبارة الوصفية مع قاعدة نصل أوكام، وأدت هذه النظرية إلى التخلص من العالم الوهمى الذى قد خلفته اللغة. فلقد كشف تحليل "العبارة الوصفية" أن عبارة ما قد تكون فى مجملها ذات معنى، ولكن ليس هناك ما يدعو للافتراض بأن لكل جزء من أجزائها معناه القائم بذاته. فلفظتا "جبل الذهب" يمكن أن تكونا جزءاً من عبارة ذات معنى مفهوم، لكن اللفظتين وحدهما مستقلتين عن عبارتهما لايتحتم أن تكونا دالتين على شىء، كذلك "الأسماء الكلية" ماهى إلا رموز دالة على فئات وماهى إلا عبارات وصفية وحكمها حكم تلك العبارات، بالتالى ليس بالضرورة أن تكون لها مسميات فى الواقع[2]. بذلك نبتر بنصل أوكام مسميات الألفاظ الكلية، إذ لم يعد هناك ضرورة لافتراض وجود الكائنات التى تشير إليها.

كما تعتبر نظرية "الواحدية المحايدة" التى تبناها رسل تطبيقاً واضحاً لقاعدة نصل أوكام. حيث استطاع رسل بهذه النظرية أن يتخلص من فكرتى العقل والمادة. فالعقل والمادة كلاهما مشتق من "هيولى" محايدة لاهى عقل ولا هى مادة، لكن أجزاءها إذا ما

---

(١) د. زكى نجيب محمود، برتراند رسل، ص ٢٦ ٢٧

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٢٥

ارتبطت بمجموعة معينة من العلاقات أصبحت عقلاً وإذا ارتبطت بمجموعة أخرى من العلاقات تسمى مادة، فليس هناك كائنا مستقلاً عقلاً أو مادة، بل هناك هيولى واحدة محايدة هى الظاهرات التى تنتشر فى المكان والتى يتكون منها العقل والمادة معاً[١]، كذلك أمكن بهذه النظرية التخلص من افتراض العناصر الغيبية الخفية التى كان يفترض وجودها لتفسير الأشياء مثل افتراض وجود العنصر أو الجوهر وتطبيقاً لقاعدة نصل أوكام أمكن القضاء على الفروض التى تبرر وجود مثل هذه الكائنات.

والواقع ان قاعدة نصل أوكام تظهر دائماً فى تحليلات رسل باعتبارها قاعدة منهجية، حيث كان يتناول الأفكار مهما كان ميدانها ليحاول تفتيتها وفكها إلى عناصرها الأولية. حتى يتضح ما إذا كانت أفكاراً أصيلة أولية، أو مما يمكن ردها إلى سواها، فإذا كانت الأخيرة كان يستغنى عنها مكتفياً بالأصل الذى وردت إليه، فكان يحاول دائماً الوصول إلى أقل عدد ممكن من الأفكار الأولية البسيطة، التى لابد من قبولها بغير تعريف ليعرف بها سواها الذى ينبثق منها[٢]. وتلك العملية هى تطبيق واضح لقاعدة نصل أوكام باعتبارها قاعدة منهجية منطقية ضرورية للتحليل.

ب - اللغة المثالية : اعتبر رسل التحليل جوهر الفلسفة، وان التحليل المنطقى لمشكلة ما يكفل باظهارها على أنها إما أن تكون المشكلة منطقية وإما ألا تكون مشكلة فلسفية على الاطلاق[٣]، ولما كان هدف التحليل توضيح التصورات والعبارات سواء فى مجال العلم أو مجال الفلسفة، من أجل العمل على إزالة الغموض والالتباس، فإن تحقيق هذه الغاية يتطلب ترجمة هذه العبارات والتصورات إلى "لغة مثالية"، ويعرف رسل هذه اللغة بأنها "تلك التى يمكن بواسطتها التعبير عن كل مايتناوله الفكر فى مجموعة من القضايا الواضحة البسيطة التى يسهل إدراكها وتحقق وضوح كل ما يمكن أن يستدل منها بعد ذلك، وسوف تشمل نوعين من الكلمات، كلمات نعبر بها عن البناء، وأخرى نشير بها إلى

---

(١) د. زكى نجيب محمود، برتراندرسل، ص ١١٢.

(٢) د. زكى نجيب محمود، ثقافتنا فى مواجهة العصر، مقالة من برتى إلى برتراند، ص٢٦٨، دار الشروق، ١٩٧٩.

(٣) د. زكريا ابراهيم، دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص ٢٣٣، "نص من كتاب برتراندرسل معرفتنا بالعالم الخارجى"، ص٤٢، سنة ١٩١٤".

البسائط والمصطلحات التى تكون هذا البناء[١]، ولذلك مثل هذه اللغة المثالية سوف تقضى على الغموض واللبس الذى قد تسببه اللغة العادية، والتى كانت سبباً فى غموض كثير من مشكلات الفلسفة، ويؤكد رسل "على ضرورة وجود مثل هذه اللغة الاصطناعية لممارسة التحليل المنطقى" بأنه إذا كانت تعمل فى مجال التشريح المنطقى. فإنك بحاجة إلى لغة مختلفة غاية الاختلاف عن تلك التى نستخدمها فى حياتنا اليومية[٢].

إن وجود لغة اصطناعية ضرورة تتطلبها عملية التحليل، حيث يمكن بها تفادى غموض اللغة العادية وقصورها عن التعبير الدقيق للمفاهيم والتصورات، فقد يصل بنا التحليل إلى عناصر بسيطة قد لاتكون على علم بها من قبل. وذلك يتطلب لغة دقيقة للتعبير عن هذه العناصر البسيطة، أى أن عرض نتائج التحليل تفرض ضرورة وجود مثل هذه اللغة. ويؤكد رسل على "أنه عند كتابة "ربرنكيبا ماتماتيكا" اكتشف ضرورة وجود لغة اصطناعية فنية بسبب عجز وقصور اللغة العادية عن التعبير عن الأفكار البسيطة المجردة التى يتناولها هذا العمل[٣]. فالتعبير عن المركبات لايمثل إشكالاً فى اللغة الجارية، أما التعبير عن العناصر البسيطة التى تنتج من التحليل يحتاج إلى تصميم أو وضع مجموعة من الرموز الخاصة، حتى يمكن التعبير عنها تعبيراً واضحاً محدداً، ويرى رسل " ان هذه اللغة المنطقية لاتصلح للتعامل بها فى الحياة اليومية، بالرغم من نفعها فى مجال الفلسفة. وتحقيقها الوضوح للأفكار، كما لايعنى وجودها فقدان اللغة الجارية لوظيفتها. لذلك يجب تصميم مثل هذه اللغة المنطقية (الاصنطاعية) لتطبيقها فى مجال معين ولتحقيق غرض معين[٤]. ولكن بالرغم من هذا التحديد لوظيفة اللغة المنطقية المثالية، فإنها تعد أداة ضرورية من أدوات التحليل. ويمكن استخلاص أداة ثالثة إلى جانب هاتين الأداتين (قاعدة نصل أوكام واللغة المثالية)، وهى ما تسمى، "بالبناء المنطقى"، حيث يؤكد رسل "ان الحد الأقصى للتفلسف العلمى يكون باستبدال الكائنات المستدل عليها "بالبناءات المنطقية"، أينما كان ذلك ممكناً، وبذلك يصبح هدف البناءات المنطقية عند رسل التخلص

---

(١) B. Russell : My Philosophy Development,P123.

(٢) Ibid., P.166.

(٣) B. Russell : My Philosophy Development,P123.

(٤) Ibid., P.166.

من الكائنات التى لانكون على معرفة مباشرة بها، أو بعبارة أخرى نسعى للإبقاء على ما هو يقينى ونحذف ما يمكن أن يكون موضعاً للشك[1]، إلا أن مبدأ البناء المنطقى يمكن اعتباره صورة من صور نصل أوكام، طالما أن الهدف حذف مالا نكون على معرفة مباشرة به، واستبداله بما يمكن التحقق منه عن طريق الخبرة المباشرة، كذلك لم يستخدم رسل اللغة المثالية فى كل ممارساته للتحليل لذلك لايمكن اعتبارها قاعدة منهجية ثابتة، فرسل قد أشار لصعوبة تحقيق هذه اللغة أو استخدامها فى مجالات محددة، وعلى ذلك يمكن اعتبار أن قاعدة نصل أوكام هى الأداة المنهجية الثابتة التى تتفق مع أهداف وأغراض التحليل عند رسل.

٤ - تعقيب:

١ - لقد وضح أن رسل لم يحدد طبيعة منهجة بصورة محددة ودقيقة، رغم نظرته للتحليل باعتباره منهجاً علمياً يمكن تجسيده فى قواعد محددة. والواقع أن هذا الموقف الذى اتخذه تجاه المنهج. ربما يعود لطبيعة رسل الفلسفية كفيلسوف متطور لايريد أن يسجن نفسه فى قوالب محددة وملزمة، أو قد يفسر من خلال طبيعة منهج التحليل، بمعنى ان التحليل منهج يمكن ممارسته فى موضوعات متعددة ولأغراض مختلفة، وغالباً ما يصعب الفصل بين معنى التحليل والغرض من ممارسته، أو أن معالم المنهج لم تكن واضحة عند رسل، بالرغم من تصريحه بأنه يعتبر التحليل من المصادرات الأساسية التى يلتزم بها فى كل موضوعات الفكر، وربما قصد رسل ترك منهجه دون تحديد، لكى يوفر الفرص لمزيد من الإضافات للمنهج التى قد تظهر فيما بعد، ويتسق هذا الاحتمال مع نزعة رسل العلمية، فالعلم يتصف بالاحتمالية والتغير واحتمال ظهور الجديد دائماً، لذلك لم يهتم بتحليل "التحليل" أو بتحديد قواعد للمنهج. ويقترب رسل فى موقفه من عدم تحديد المنهج بموقف العلماء الذين يهتمون بتطبيق المنهج دون الاهتمام بدراسة المنهج ذاته. لذلك قد يمكن تفسير عدم تحديد رسل لمنهجه. بأنه موقف يتضح من خلاله مدى إيمانه بالعلم ورغبة فى أن تصبح الفلسفة علما.

---

(١) د. محمد مهران، فلسفة برتراندرسل، ص ٢٦٥

٢ - تعتبر السمة الواضحة للتحليل عند رسل فى إيمانه باستحالة إحراز التقدم فى الفلسفة بدون التحليل، ويرى "أن كل من يعارض التحليل يعارض التقدم العلمى، لأن ما أحرزه العلم من تقدم فى المجالات المختلفة، لم يتحقق إلا من خلال التحليل، وكل ما أحرزته الفيزياء المعاصرة من تقدم يعتبر من النتائج المباشرة للتحليل، وعلى ذلك لايمكن أن يشك عالم من العلماء فى فائدة التحليل، لأن ميزة التحليل أنه يقدم معرفة جديدة دون هدم أى معرفة موجودة من قبل حول الموضوع الذى يتم تحليله، والمعرفة التى نحصل عليها من التحليل تعتبر من أنواع المعارف التى يصعب الحصول عليها بدونه[١]. فالتحليل منهج ضرورى للفلسفة التى تهدف إلى فهم العالم على أفضل وجه ممكن، والتمييز بين المعارف الصحيحة والتخلص مما هو موضع شك، ويؤكد رسل "ان هؤلاء الذين يرفضون التحليل، إنما يرغبون للإنسان أن يقنع بحالة الغموض التى تشبه رؤية الأشياء البعيدة فى الظلام[٢]. فالتحليل يؤدى إلى تحقيق الوضوح وإلى تمييز تفصيلات حول الموضوع لم تكن ظاهرة من قبل.

٣ - المنهج التحليلى يجعل من النظريات العلمية أساساً للبحث الفلسفى، وربما تعتبر هذا السمة غير مميزة للمنهج التحليلى من غيره من المناهج الفلسفية. فلقد كان فلاسفة أمثال "أفلاطون" و"ديكارت" و"إسبينوزا" و"كانط"، يجعلون من الرياضيات أساساً لأبحاثهم الفلسفية.

وكان "لوك" و"هيوم" و"جون ستيورات مل" يستندون إلى العلوم التجريبية فى تحليلاتهم، إلا أن السمة المميزة للمنهج التحليلى كما مارسه رسل، أنه اعتبر العلوم كلها مقدمات ضرورية للبحث الفلسفى، فقد اعتمد على العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية وعلم النفس والفسيولوچيا، ويرى رسل "أن فى الفلسفة منذ فيثاغورس" كان هناك نوع من التقابل بين هؤلاء الذين تلهم فكرهم بصفة أساسية الرياضيات وبين أولئك الذين كانوا متأثرين بدرجة أكبر بالعلوم التجريبية. وينتمى "أفلاطون و"توماس الأكوينى" و"سبينوزا" و"كانط" إلى ما يمكن أن يدعى بالفريق الرياضى، وينتمى ديموقريطس وأرسطو والتجريبيون المحدثون منذ "لوك" إلى ما بعده إلى الفريق المقابل. إلا أن مدرسة

---

(١) B. Russell : My Philosophical Development, P.169-170.

(٢) Ibid., P.99.

التحليل المنطقى قد شرعت تعمل على اقصاء الفيثاغورثيين عن مبادئ الرياضيات، وعلى الجمع بين التجريبية وبين الاهتمام بالأجزاء الاستنباطية فى المعرفة البشرية[١].

فالتحليل عند رسل يسعى إلى اعتبار النظريات العلمية أساساً للبحث الفلسفى، وفى نفس الوقت يحاول تطبيق مبادئ المنطق والرياضة على موضوع البحث بقدر ما تسمح به طبيعة الموضوعات. وبصرف النظر عن مدى نجاح "رسل" فى تحقيق هذه السمة فى تحليلاته، أو عن انها أدت إلى نتائج صحيحة، فإنها تتفق مع نظرة رسل للفلسفة وضرورة استنادها على العلم حيث يرى "ان الفلسفة التى يمكن أن تكون ذات قيمة، هى تلك التى تستند على أساس معرفى واسع (العلوم الطبيعية) ليس بالضرورة فلسفياً، فمثل هذه المعارف هى التربة التى تستمد منها شجرة الفلسفة غذائها، الفلسفة التى لاتستمد غذائها من هذه التربة سوف تتوقف عن النمو إن آجلاً أو عاجلاً[٢].

والواقع أن رسل كان مدركاً للصعوبات التى تتعلق بالتحليل باعتباره منهجاً، بمعنى أنه قد لايعطى إجابات محددة لجميع الأسئلة القديمة فى الفلسفة التقليدية، إلا أنه يقول "ان منهجا قد اكتشف نستطيع به كما يحدث فى العلم، أن نقوم باقترابات متعاقبة من الحقيقة ويحقق لنا البعد عن التحيز، وبه تصبح الفلسفة مثمرة ومنتجة وتنبسط إلى كل مجال النشاط الإنسانى[٣]. لقد قام رسل بالرد على كثير من النقد الذى وجهه للتحليل وكان يقر بعض الانتقادات وينتقد البعض الآخر، ويلزم الصمت أحياناً، وربما ذلك ما يجعل فهم خصائص المنهج وخطواته أكثر صعوبة، إلا أن هذا الموقف يتفق مع الفكر الذى يرفض الإصرار على المواقف التى قد يظهر دليلاً على بطلانها.

ولما كان البحث لايسعى لعرض ماقد يسمى بالنقد، سواء كان نقداً من الخارج أى من مواقف مذهبية مختلفة، أو نقدا من الداخل أى خلال الجوانب الفنية فى المنهج، فسوف يحاول البحث رصد مدى تطبيق رسل لمنهجه التحليلى فى مجال الأخلاق النظرية والاجتماعية وهل كان رسل ملتزماً بمنهجه التحليلى أو أنه كان له موقفاً مزدوجاً.

---

(١) برتراندرسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الجزء الثالث، ص٤٨٩.

(٢) B. Russell : My Philosophical Development,P.170.

(٣) برتراندرسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الجزء الثالث، ص٤٩٩

الفصل الثالث
الفلسفة الخلقية عند رسل

يهتم فلاسفة الأخلاق بتعريفات شتى الموضوعات المختلفة حول علم الأخلاق من أجل الوصول إلى تحديد علمى دقيق يستندون إليه من بعد فى إقامة نظريتهم الأخلاقية، ولقد ساير رسل فلاسفة الأخلاق فى هذا الاتجاه، حيث بدأ بمناقشة النظريات الأخلاقية عند المثاليين والواقعيين والتحليليين قبل صياغة نظريته الأخلاقية. كذلك اتجه رسل للتميز بين مبادئ الأخلاق وقواعد السلوك أو القواعد الخلقية وبين المبادئ الثابتة والتعبيرات المتغيرة عن تلك المبادئ. فالقواعد الخلقية تتغير بتغير الظروف وتوصف بأنها نسبية، أما المبادئ فلابد أن تصدق فى كل زمان ومكان، وبذلك وقف رسل موقفاً وسطاً بين دعاة الأخلاق النسبية ودعاة الأخلاق المطلقة، وإن كان يميل إلى موقف دعاة النسبية فى اعتبار الأحكام الأخلاقية فى جوهرها أحكام وجدانية تستند إلى العواطف وترتكز على الانفعالات، فهى بطبيعتها أحكام تختلف من فرد إلى آخر، لذلك اعتبر أحكام القيمة ليست قضايا حقيقية يمكن البرهنة على صدقها أو كذبها، كما قال بذلك الوضعيون المناطقة فيما بعد.

ويقترب رسل من الفلاسفة الوضعيين فى اعتبار الظواهر الخلقية وقائع اجتماعية تقبل الوصف والتحليل والتصنيف، وأن لكل شعب قواعده الأخلاقية الخاصة التى قد حددتها عوامل اجتماعية متعددة. إلا أنه لايكتفى بالتحليل الاجتماعى للظاهرة الخلقية إنما اتجه إلى التحليل النفسى لها أيضاً، وعلى ذلك فالظواهر الخلقية يمكن وصفها وتحليلها بمنهجى التحليل الاجتماعى والتحليل النفسى. كما أن رسل يختلف مع أنصار المدرسة الاجتماعية التى تحدد دور فيلسوف الأخلاق. حيث قد طالب ببث مبادئ أخلاقية جديدة، وحاول صياغة بعض الأفكار الأخلاقية النظرية التى يراها صالحة للإنسانية عامة، كذلك كان له موقفه من دعاة الأنانية المطلقة والغيرية المطلقة، فقد رفض التضحية بالفرد من أجل المجتمع، أو الدعوى إلى الأنانية والأثرة، ويرى ضرورة وجود نوع من

التوازن بين تحقيق الذات والتضحية بها، فالحياة الخلقية لاتستقيم إلا بتحقيق خير الفرد وخير المجتمع. وتحقيق التوازن بين رغبات الفرد ورغبات المجتمع.

ومع هذه المواقف المتعددة التى اتخذها رسل تجاه المذاهب الأخلاقية المختلفة فهل يعد من أصحاب النظريات الأخلاقية؟ أم أنه اكتفى باتباع المنهج التحليلى تجاه المذاهب الأخلاقية وكان له موقف الفلاسفة التحليليين بإخراج الأخلاق من مجال العلم؟

١ - الفرد بين المبادئ والقواعد الخلقية :

هناك فرق بين مبادئ الأخلاق والقواعد الخلقية، فالمبادئ ثابتة بينما القواعد متغيرة، وتعد مثل هذه التفرقة ضرورية عند تحديد المقصود بعلم الأخلاق، ويرى رسل "أن علم الأخلاق يتكون من مبادئ عامة تساعد على تحديد قواعد السلوك، أى أنه ليس من واجب الأخلاق أن تحدد ما الذى يجب على الفرد أن يفعله أولا يفعله فى كل موقف يتعرض له. فذلك واجب الوعظ الدينى (إدارة الإفتاء) فالأخلاق لاتهتم بالإرشاد العلمى، بل يقتصر عملها على تعقب القواعد الخلقية إلى أصولها التى تفرعت عنها، لذلك تعتبر المبادئ الأخلاقية ثابتة، أما القواعد فهى متغيرة تختلف باختلاف الزمان والمكان والجنس والعقيدة. فمثلاً عندما يعرض هذا التساؤل متى يجوز الكذب؟ قد يجيب بعض الناس بدون روية، أنه لايجوز أبداً، ولكنك تكذب إذا قابت مغتالا يعدو فى جنون وراء رجل يريد أن يقتله، ثم سألك رأيت إلى أين مضى فلان؟ ثم أليس الكذب مقبولا فى فن الحروب، ألا يكذب القساوسة حين يكتمون سر من اعترف لهم بسره؟، ألا ينبغى أن يكذب الأطباء ليطمئنوا مرضاهم، كل هذه الظروف تقتضى الكذب، لكن الذى يقرر صواب الكذب فى ظروف معينة هو الوعظ والإرشاد الاجتماعى، ورغم أن مثل هذه الأسئلة تستحق البحث والإجابة عنها إلا أن ذلك ليس مجال علم الأخلاق[1].

كذلك تتغير القواعد الخلقية بتغير الظروف ووجهات النظر، يقول رسل "فمثلا هل يجوز أن يقتل الزوج عاشق زوجته؟ ترى الكنيسة والإدراك الفطرى السليم عدم جواز القتل، بينما القانون كثيرا ما يبرئ القاتل فى مثل هذه الظروف، ويرفض القضاة إدانة

(١) B. Russell : An Outline of Philosophy, (1927), George Allen and Unwin, London, 1979, P.180.

الزوج، ومثل هذه الأحكام المتناقضة سوف تختفى إذا اعتبرت القاعدة الخلقية قابلة للتغير[١]. أما المبادئ الأخلاقية التى من شأن الفلسفة أن تقررها فثابتة وشاملة وأكثر عمومية من القواعد الأخلاقية.

ولتحديد المقصود بالقول بأن مبادئ الأخلاق بمعناها الفلسفى أثبت من قواعد الأخلاق وأشمل منها، يرى رسل "أنه لابد أن نعرف ماذا يعنى شخص عندما يقول، يجب أن تفعل كذا، ولاتفعل كيت، أو يجب أن أفعل كذا، وكذا، ونلاحظ أن مثل هذه العبارات تعبر عن حالة وجدانية، يعنى قائلها أنه يشعر باستحسان مثل هذا العمل، إلا أن مثل هذا التفسير لايكفى، فنحن نبحث عن شىء أكثر عمومية وموضوعية وثباتا[٢]. ولما كانت القواعد رغم تغيرها تتخذ صيغة الأمر حيث توجب على الناس أن يفعلوا كذا، ولا يفعلوا كيت، فماذا يعنى الوجوب فى هذه الحالة؟ فإذا أمكن الإجابة على مثل هذا السؤال فإنه يتم تقرير المبدأ الأخلاقى وبالتالى يتضح معنى القول، بأن المبادئ الأخلاقية بمعناها الفلسفى أثبت من قواعد الأخلاق وأكثر شمولاً منها.

ولكن يحدد رسل معنى الوجوب الأخلاقى بدأ بتتبع معنى الوجوب ومصدره عند المذاهب الأخلاقية المختلفة فمثلاً:

١ - الوجوب الأخلاقى يجعل "الفضيلة" فى طاعة صاحب السلطان. ويعتقد رسل "أنه لافرق بين أن يكون صاحب السلطان الذى يوجب على الناس قواعد سلوكهم إلها أو حاكما أو عادة من العادات التى جرت بها التقاليد"[٣]، إلا أن الفلسفة ترفض هذا المعنى للوجوب حيث يرى رسل "أن الأوامر الخلقية التى يأمرنا بها صاحب السلطان - مهما كثر عددها - فهى أقل من أن تشمل ظروف الحياة كلها، لذلك سوف يضطر الإنسان لأن يتبع نظامين أخلاقيين، لأنه سوف يطيع القواعد الخلقية فى حالة وضوحها، ويحاول الاجتهاد فى الأمور التى لم تحددها تلك القواعد، وذلك مما لايرضى عنه الفيلسوف، لأنه يحاول أن يجد للسلوك الصواب كله مبدأ واحد، كذلك سوف يكون للقواعد الخلقية الثابتة التى لاتضع فى اعتبارها تغير الظروف، أحياناً نتائج مرغوبة وأخرى غير مرغوبة، ومن الأسباب التى تجعلنا نرفض أن يكون الوجوب نتيجة أمر من صاحب السلطان، أننا

---

(١) Ibid., P.180

(٢) Ibid., P181

(٣) Ibid., P181

إذا ما سألنا كيف عرفنا هذه الأوامر الأخلاقية؟ كان الجواب أنها تعرف بالوحى إذا كان مصدرها الله، وتعرف - بالعرف إذا كان مصدرها التقاليد، أو أن الضمير كاف لمعرفتها، وتلك المصادر للمعرفة لايقرها الفيلسوف، لأنه لايعتبرها مصادر رئيسية للمعرفة[١].

٢ - يحدد رسل صورة أخرى من صور طاعة السلطة، يطلق عليها مجموعة القواعد الأخلاقية المنظمة للمجتمع، "بأنها تلك التى ترى أن الفضيلة تكون فى طاعة مجموعة القواعد الخلقية المنظمة للمجتمع الذى إليه ينتمى الفرد، ولاترى أى أهمية للقواعد الخلقية المخالفة لها، فمثلاً المسلم لايلام لممارسته تعدد الزوجات، ولكن إذا مارس رجل إنجليزى تعدد الزوجات. سوف يعتبر غير فاضل حتى إذا كان يعيش فى بلد إسلامى، ومثل هذه النظرة تجعل من الوحدة الاجتماعية جوهر الفضيلة، أو كما يرى "هيجل" أن الفضيلة تكون فى طاعة الحكومة"[٢].

ويعلق رسل على هذه القاعدة للوجوب الأخلاقى "بأن صعوبة هذه النظريات تكمن فى أنها تجعل من المستحيل اتهام السلطة باللاأخلاقية، وسوف لايكون هناك معنى للعبارة "ان تلك العادة صالحة" أو أن الحكومة فاسدة" ومثل هذه القاعدة للوجوب لايمكن أن تنمو وتحيا فى ظل التقدم والديمقراطية، لأنها قد وضعت من وجهة نظر حكام طغاة ولمواطنين مستعبدين[٣].

والحقيقة ان رسل فى نقده للوجوب بمعنى طاعة صاحب السلطان، لم يفرق بين طاعة الله أو طاعة الحاكم، حيث يرفض طاعة صاحب الأمر كائنا من كان. وإن كان يمكن تبرير ذلك بأن رسل يسعى لتأكيد حرية الإنسان ومحاولة فك القيود من حوله وإعطائه حرية الاختيار. إلا أنه فى الواقع هناك فرق بين سلطة الوحى وسلطة الحاكم، ومع صحة نقده لصعوبة ربط الفضيلة بطاعة الحاكم، إلا أنه لاينطبق بالنسبة للسلطة الوحى، فاعتبار الوحى مصدرا للوجوب الأخلاقى لايحمل تناقضاً من منطلق عجز الوحى على شمول كل القواعد الخلقية بسبب تغير الأوضاع الاجتماعية، فالوحى

---

(١) Ibid., P.182

(٢) Ibid., P183.

(٣) Ibid., P183.

-بالنسبة للأسلام - مثلا يحدد المبادئ الأخلاقية العامة، ويضع أحياناً القواعد الخلقية التفصيلية لبعض الأمور الهامة، ويترك للإنسان باب الاجتهاد فى بعض المسائل التفصيلية التى قد تجد فى الحياة، ولايعنى ذلك أن الفرد سوف ينتهج نظامين أخلاقيين بالبحث عن أفضل النتائج فى تلك الأمور التى لم ترد مباشرة فى الوحى، طالما أن هناك تطابقاً بين الوحى والعقل أو بين الحكمة والشريعة.

٣ - يستعرض رسل مصدرا آخر للوجوب الأخلاقى، ويقرر أنه أدنى إلى الصواب حيث يقول" أننا نقرب من الصواب، عندما نعرف السلوك الصحيح بأنه هو الذى ينتج من الدافع أو من داخل الإنسان لا آت إليه من الخارج، فالأعمال تكون خيرا إذا صدرت عن مجموعة معينة من العواطف، وتكون شرا إذا صدرت عن طائفة أخرى من تلك العواطف، ويمكن القول بصفة عامة، ان كل عمل يصدر عن "الحب" فهو خير. وأما ما يصدر عن "الكراهية" فهو شر، . ومثل هذه النظرية يؤمن بها المتصوفة، لذلك يحتقرون القوانين التى تحدد قواعد السلوك. ويعلق رسل على هذا المصدر بقوله" أنه إذا كان مثل هذا الرأى صالحا من وجهة النظر العلمية، إلا أنه لا يعد كافياً من الوجهة الفلسفية، بمعنى أنه نتيجة لمبدأ أعم وأشمل، حيث سيظل هناك سؤال بدون إجابة، وهو ما الذى يجعل حافز "الحب" خيراً، وحافز "الكراهية" شراً؟[١].

٤ - يرى أنصار المذهب النفعى. ان مصدر الوجوب الخلقى، أو ما يجعل الفعل خيراً أو شراً، ليس هو ماسبق الفعل من أمر ولايكون بالنظر للمصدر الذى صدر منه هذا الأمر، إنما يكون بالنظر إلى مايلحق الفعل من نتائج، كما يرون أن السعادة هى الخير، ويجب على الإنسان أن يسلك بحيث يحقق أكبر قدر من السعادة فى العالم، ويعلق رسل على الوجوب عند النفعيين بقوله "لاأرى أن السعادة هى الخير وإن كنت أوافق على المبدأ، بأنه يجب الحكم على السلوك حسب نتائجه، ولكن لايجب أن نفعل ذلك فى كل صغيرة وكبيرة حتى لاتضيع فرصة العمل، ولكى يتم تحقيق هذا المبدأ، يجب فحص القواعد الخلقية التى نغرسها بالتربية، ونقنع بها الرأى العام فى كل جيل من الأجيال، وذلك لنرى ما إذا كانت لاتزال تحقق النتائج المرغوبة منها، وإذا لم تكن، فيجب تحديد أى من هذه القواعد لاتحتاج للإصلاح والتعديل، ويعنى ذلك أن القواعد الخلقية مثل القواعد

---

(١) Ibid., P 183

القانونية يجب أن تهيئ نفسها لتغير الظروف أو أن تعتبر تحقيق الصالح العام مهمتها ودافعها. وطبقاً لوجهة النظر النفعية لن يكون السلوك الصحيح نابعاً من تصور ذاتى، ولكن هو ذلك السلوك الذى يتوقع أن يؤدى إلى نتائج مقبولة اجتماعياً، ويزيد من سعادة الناس ومقدار الذكاء[1].

والواقع أن إقرار رسل للحكم على الفعل حسب نتائجه يجعله من أنصار مذهب المنفعة، رغم عدم تأكيده على أن السعادة هى الخير، ويمكن أن يوجه إليه نفس النقد الذى سبق أن وجهه لوجهة النظر القائلة بأن الوجوب الأخلاقى ينبع من داخل الفرد، بمعنى أنه يجب رد ذلك لمبدأ أشمل ألا وهو ما الذى يجعل نتائج ما خيرة وأخرى شريرة؟ كذلك الحكم على الفعل حسب نتائجه تجعل من الفعل خيراً وشراً فى آن واحد ويؤدى ذلك إلى تناقض الحكم.

جـ- هناك جواب رابع عرف به "جورج مور" وهو أن الخير صفة فى الفعل تدرك إدراكاً مباشراً، وليس هى بالنتيجة التى نستدل عليها من مقدمات أو مؤخرات، فكما تنظر للبقعة اللونية فتقول أنها صفراء لإدراكك المباشر للونها الأصفر، فكذلك تنظر للفعل الصواب فتقول أنه خيرلإدراكك عنصر الخير فيه إدراكاً مباشراً، ويعلق رسل على آراء "ج.أ.مور" بقوله" ان مور يعتقد أن مفهوم الخير لايقبل التعريف، واننا نعرف بصورة مسبقة عدة قضايا عن أنواع الأشياء التى تعتبر خيرا فى ذاتها، مثل السعادة والمعرفة وإدراك الجمال، وأيضاً نعرف أى الأفعال ونفرق بين تلك التى تؤدى إلى الخير وتلك التى تؤدى إلى الشر، وإن كنت فيما سبق معتنقاً لهذا الرأى إلا أنى أقلعت عنه لعدة أسباب منها ما قرأته "لسانتيانا" فى كتابه "رياح المذاهب"[2].

وينتهى رسل من تحليل المذاهب السابقة، بأن الخير هو فى إحداث الاتزان بين متضارب الرغبات، حيث يقول: «لقد أصبحت الآن اعتقد أن الخير والشر متفرعان من الرغبة، ولست أعنى بذلك أن الخير هو ما نرغب فيه، لأننى أعلم أن رغبات الناس متضاربة، على حين أن الخير - فى رأيى - هو فى أساسه فكرة اجتماعية غايتها أن تقضى على مابين الناس من تضارب، وهذا التضارب لايكون بين مختلف الأفراد فحسب. بل

---

(١) Ibid.. P.184

(٢) Ibid.. P.184

يكون كذلك بين رغبات الشخص الواحد فى أوقات مختلفة، بل فى الوقت الواحد حتى وان يكن فى حياته وحيدا مثل "روبنسن كروسو"[1]، بذلك يحدد رسل المفهوم العام للخير. بأنه فى تحقيق التوازن بين الرغبات المتضاربة سواء بالنسبة للفرد أو للمجتمع وبذلك يكون هناك خير للفرد وخير للمجتمع.

٢ - خير الفرد :

الخير بالنسبة للفرد الواحد هو التنسيق بين رغباته، يقول رسل خذ مثلاً لذلك فرداً واحداً يعيش وحده مثل "روبنسن كروسو"، تجد تضارباً عنده فى بعض لحظات حياته بين التعب والجوع. فهو الآن راغب فى الراحة، لكنه لو استراح وأمسك عن العمل. فقد ينتج عن ذلك انعدام القوت فى يوم مقبل، فلا يجد ما يشبع به الجوع، فإذا ما غلّب نفسه الآن وحملها على العمل، موازناً فى ذلك بين رغبتين رغبة حاضرة فى ترك العمل ورغبة مستقبلية فى الحصول على القوت، ثم غلّب رغبة على رغبة على هذه الصورة التى يضحى بها رغبة حاضرة أقل. فى سبيل رغبة مستقبلة أكبر كان فى عمله هذا كل خصائص المجهود الخلقى، وترانا أحسن ظناً بمن يبذل مثل هذا الجهد منا بمن لايبذله، لأنه فى بذله ضبطا للنفس وتحكماً فيها، وهكذا نستطيع أن نتصور الحياة الخلقية لرجل مثل "روبنسون كروسو" كائنة فى الموازنة بين رغباته، وتغليب بعضها على بعض على صورة تحقق له اتساقاً فى شتى جوانب حياته، ولبعض الأسباب قد يظن أن ذلك لايسمى خلقاً، بل يعتبر دافعاً نفسياً لتحقيق المصلحة الشخصية، ولكنى أرى أن التمييز بينهما نوع من الوهم. فالإدراك الفطرى السليم كاف لهداية الإنسان إلى الحكم الصواب فى أى الرغبات أولى بالتحقيق من غيرها، فمن ذا يتعذر عليه الحكم حين تكون الموازنة فعلاً بين رغبتين إحداهما رغبة فى توسيع المعرفة، وأخرى فى تخدير الإنسان لنفسه بمخدر؟ فكلتا الرغبتين تستهدفان شعوراً بالسعادة، لكننا ندرك على الفور أن السعادة - المتحققة من الرغبة الأولى أدوم وأفضل من السعادة المتحققة من الرغبة الثانية، فلورسونا بغتة على الجزيرة التى يسكنها "روبنسن كروسو" ووجدناه يقضى فراغه فى دراسة النبات على تلك الجزيرة، كان ذلك فى رأينا أفضل مما وجدنا مخموراً، وأساس التفضيل هو مبدأ اتساق

---

(١) Ibid., P.184

الحياة. لذلك فالموازنة بين الرغبات واختيار أولاها بالإشباع يمثل مجهوداً خلقياً، برغم أنها تعتبر نوعا من الاهتمام بالمصلحة الشخصية.

والحقيقة ان اعتبار خير الفرد قائماً على إحداث التوازن بين رغباته المتضاربة، يجعل الخير هنا مرتبطا بحساب النتائج بمعنى إذا كان هناك رغبتان تتطلبا إشباعاً في نفس الوقت، فالإنسان يختار الرغبة التى تؤدى إلى نتائج أفضل فى المستقبل، ولكن إن عملية حساب النتائج تتطلب قدراً كبيراً من الذكاء، الأمر الذى لايتوافر لكل إنسان، كذلك إن خير الفرد متمثلاً فى إحداث التوازن بين رغباته، فهناك من الرغبات التى يكون لها تأثيراً على الآخرين، وإن كان رسل قد حل المشكلة بضربه مثلاً عن "روبنسون كروسو" فذلك جائز إلى حد ما، إلا أن ليس كل إنسان "روبنسون كروسو"، بل يمكن القول إن جوهر المشكلة الخلقية تكمن فى احتكاك الإنسان بالآخرين. وحتى أيضاً فى حالة "روبنسون كروسو" واختياره بين رغبة العمل لإشباع الجوع مستقبلاً ورغبة الراحة. ألا يمكن أن يختار تحقيق رغبة الراحة لشعوره بالتعب؟ وهل يمكن وصف هذا الاختيار بأنه لايمثل تحكماً بالنفس أو مجهودا خلقياً؟ وهل يعد عدم بذله للجهد فى هذه الحالة تصرفا لاأخلاقيا؟ الواقع ان اختيار "روبنسون كروسو" "لاحدى الرغبتين لايمثل جهداً أخلاقيا، لأن اختياره لرغبة الراحة يؤدى إلى اتساق مبدأ الحياة أيضاً. وبالتالى فان الحكم على مختلف الرغبات واختيار أفضلها لايمكن الحكم عليه بالخير ولايمثل أى نوع من أنواع الخلق.

٣ - خير المجتمع:

إذا كان خير الفرد قائماً على إحداث التوازن بين رغباته المتضاربة فإن خير المجتمع يقوم أيضاً على أساس التنسيق وإحداث الاتزان بين رغبات أفراده، يقول رسل "أنه من الواضح أن يكون هناك نوع من الانسجام وقدر أكبر من الإشباع، عندما تتوافق" رغبات شخصين مثلا، أكثر مما لو كان هناك تنافر بين رغباتهما أو فيما يرغبان، ولكن أيمكن أن يتم هذا التوافق بين أناس يكره كل منهما الآخر؟ ويمكن أن نجيب هنا. بأن الذى سوف يهزم سيتنازل عن رغبته، إلا أن المشكلة تكمن فى اعتقاد كل منهما بأنه قادر على تحقيق الانتصار، كذلك يمكن الإجابة بأن كمية السعادة التى تنتج عن الحب أكثر من تلك التى تتولد عن الكراهية، لذلك سوف تقل الكراهية ويسعى كل فرد إلى حب الآخر، ولكن المشكلة أن الناس لايسعون إلى حب كل منهم الآخر لمجرد أن نأمرهم بالحب، كذلك ليس بالضرورة أن يجلب الحب سعادة أكثر من الكراهية، فقد كان هؤلاء الذين يكرهون

"الألمان"، أكثر شعوراً بالسعادة من هؤلاء الذين ينظرون إليهم كبشر، لأن بانتصارهم عليهم اعتقدوا أنهم قد حققوا خدمة جليلة للإنسانية عامة. لذلك إذا كان خير المجتمع يتمثل فى تحقيق التنسيق بين رغبات أفراده المتضاربة، فإنه من الضرورى أن ينظر للقواعد الخلقية من وجهة نظر "سلطة محايدة، وليس من وجهة نظر شخصية، لأن الأخلاق فى جوهرها اجتماعية.. ويتمثل دور السلطة المحايدة فى محاولة إشباع رغبات أفراد المجتمع أو التنسيق بينهما، ولكن ذلك لايمكن تحقيقه لكل الرغبات أى لايمكن إشباع رغبات كل الأفراد. وسبب ذلك أن هناك من رغبات الأفراد ما يمكن إشباعها لكل الأفراد، وأخرى لايمكن إشباعها لكل أفراد الجماعة، أو إن إشباعها سوف يتحقق للبعض على حساب البعض الآخر، فمثلا إذا رغب شخصان أن يتزوج كل منهما الآخر، فإنه أمر ممكن تحقيقه، ولكن إذا رغب كل منهما فى قتل الآخر فلن ينتصر كلاهما، لذلك يمكن القول أن هناك رغبات مفضلة ومقبولة اجتماعيا، وأخرى مرفوضة اجتماعياً، وهى تلك التى لايمكن إشباعها عند كل الأفراد بدرجة واحدة، ولكى يمكن تحقيق التنسيق بين الرغبات، لابد من زيادة الرغبات المقبولة اجتماعيا، ولما كانت رغبات الأفراد نتائج لثلاث عوامل.، وهى الميول الفطرية والتربية والظروف الحاضرة، فإن التربية تعد الوسيلة الأساسية التى يمكن عن طريقها زيادة الرغبات المقبولة اجتماعياً، والتى تجعل الأفراد يسلكون بصورة تلقائية نحو ما يحقق التناسق الاجتماعى. والحقيقة إنه طالما يهتم المجتمع بسلوك أفراده، فإنه من المستحيل الوصول إلى السلوك القويم ما لم تكن لديهم الرغبات المناسبة، ومثل هذه الرغبات لايمكن توليدها بمدحها واستحسانها، أو بمجرد الرغبة فى الحصول عليها ولكن بالتربية الخلقية السليمة[1].

وإذا كان خير المجتمع يقوم على أساس التنسيق بين رغبات أفراده، فإن المبدأ الأخلاقى الأسمى سوف يتمثل فى تحقيق هذا الخير. حيث يرى رسل "اننا نسمى شيئاً ما خيرا عندما نرغبه، وشراً عندما ننفر منه، ولما كان استخدامنا للكلمات أكثر ثباتاً من رغباتنا، فإننا سوف نظل نطلق صفة الخيرية على شىء ما حتى فى تلك اللحظات التى لاتكون لنا رغبة فيه. كما نطلق صفة الخضرة على العشب رغم أنه أحياناً يكون لونه أصفر. كذلك نلاحظ أننا قد نرغب فى شىء ما لمجرد أنه مقبول من المجتمع، أو لمجرد

(١) Ibid., PP. 185186

أن أفراد الجماعة يعدونه خيراً، لذلك فإن هذه الخيرية تطلق على تلك الأشياء المرغوبة من أفراد مجتمع ما، ومن الواضح أنه سوف يزداد الخير إذا كان هناك انسجام بين رغبات أفراد هذا المجتمع. وبذلك تصبح القاعدة الأخلاقية المثلى هى، اعمل العمل الذى ينشأ عنه التنسيق بين رغبات أفراد المجتمع، فذلك أفضل من العمل الذى يؤدى إلى التنافر بين هؤلاء الأفراد، وهذه القاعدة تنطبق على كل مجتمع، صغر أو كبر وتنطبق على مختلف رغبات الفرد الواحد. وتنطبق على أفراد الأسرة والمدينة والوطن كما تنطبق على العالم إذا كان العمل الفردى ذا أثر فى العالم كله[1].

ولتحقيق هذا المبدأ وسيلتان. الأولى من شأن السياسة والاقتصاد، والثانية تقع فى مجال التربية، حيث يرى رسل "أنه يجب إنشاء النظم الاجتماعية التى تساعد على التنسيق بين رغبات الأفراد، بحيث لايعود أمامها مجال تتنافر فيه إلا بأضيق حد ممكن، كذلك يجب أن نربى الأفراد تربية تحملهم على الاتجاه برغباتهم وجهة لاينتج عنها التضارب مع رغبات الآخرين بقدر المستطاع، وإذا كنا نسعى نحو تحقيق الانسجام بين الرغبات، فالتربية المطلوبة يجب أن تحقق للطفل الصحة والسعادة والحرية، وتعلى من قيمة الحب، لأنه إذا كان هناك فردان يحب كل منهما الآخر، يمكن أن يتحقق إشباع لكليهما، أما إذا كان كل منهما يكره الآخر، فإن أحدهما على الأكثر يتمكن من إشباع رغبته، كذلك يجب أن تشجع التربية على إشباع الرغبات التى تحقق الانسجام والمحبة، وتحد من تلك التى يؤدى إشباعها إلى الصراع والكراهية، فمن الواضح أن إشباع الرغبة فى اكتساب المعرفة مثلاً لايكون على حساب فرد آخر، لذلك يجب التشجيع عليها، بينما الرغبة فى السيطرة يؤدى إشباعها إلى الصراع والتنافر، لذلك يجب أن تحد التربية منها، بأن تجعلها تتجه نحو السيطرة على الأشياء بدلاً من السيطرة على الأفراد، وبتأكيد مبدأ احترام حرية الغير[2].

والحقيقة ان الاعتماد على التربية . فى تحويل الرغبات الشريرة وتوسيع نطاق الرغبات الخيرة، أو فى الإقلال من الرغبات التى تؤدى إلى التنافر بين أفراد المجتمع،

---

(١) Ibid., P.187

(٢) Ibid., P187-188.

والإكثار من تلك التى يمكن أن يؤدى إلى الانسجام. فإن مثل هذا الدور للتربية يحوى بعض الصعاب؛ أولاً بسبب تغير رغبات الفرد، وثانياً بسبب عدم ثبات الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى مجتمع ما، وإن رسل بذلك ينضم إلى كثير من الفلاسفة الذين يرون أن التربية قادرة على فعل المعجزات.

٤ - الفعل الأخلاقى:

يمكن تحديد اتجاهين رئيسيين فى الفلسفة الخلقية، تبعا لمعيار الحكم على "فعل ما" بأنه خير أو شر الاتجاه الأول يسمى اتجاه البواعث. حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه بأن الفعل يعد خيراً تبعاً للدافع إليه أو الباعث عليه، ولاينظرون لنتائج الفعل فى الواقع. والثانى يسمى الاتجاه الغائى، ويحكم أصحاب هذا الاتجاه على "فعل ما" بأنه خير أوشر، حسب الغاية منه أو طبقاً للنتائج التى يحققها فى الواقع. ويساير رسل الاتجاه الغائى حيث يرى أن الحكم على "فعل ما" يكون طبقاً للنتائج التى يحققها هذا الفعل، ويقترب من أصحاب مذهب المنفعة العامة من التجريبيين، وإن لم يتفق معهم فى قصر نتائج الأفعال على تحقيق اللذة أو السعادة كما يرى أنصار هذا المذهب.

وقبل أن يصوغ رسل تعريفه للفعل الأخلاقى، يرى "أنه لابد من التفرقة الدقيقة لما تعنيه كلمة "خير" وما تعنيه كلمة "صواب" وسبب هذه التفرقة أن هناك نوعاً من الخلط بين الوسائل والغايات عند وصف عمل ما أنه خير، حيث نستخدم كلمة خير لوصف السلوك "الصائب" وفى نفس الوقت لوصف الأشياء التى تعد خيره فى ذاتها[1]، لذلك يجب وصف الأفعال بالصواب أو الخطأ ولانصفها بأنها خيرة أو شريرة، كذلك يوضح أن هناك منهجين للحكم على الفعل، الأول يقول به النفعيون، حيث يحكمون بصواب الفعل حسب خيرية أو شرية نتائجه، والمنهج الثانى يقول به الحدسيون، حيث يحكمون بصواب على الفعل حسب استحسان أو استهجان الحاسة الخلقية أو الضمير له، يقول

(١) B. Russell: Philosophical Essys, The elements of ethics (1910), George Allen and Unwin, London, 1966, P.25

رسل "أعتقد أن أمامنا معنيان للصواب"، الأول يرى أن الإنسان يفعل الصواب عندما يقوم بالعمل الذى قد يؤدى إلى أفضل النتائج المحتملة، والثانى يرى أن الإنسان يفعل الصواب عندما يقوم بتنفيذ العمل الذى يمليه عليه ضميره مهما كانت نتائج هذا العمل[1]. . ولكى نحصل على فهم تام لمعنى الصواب والخطأ، يجب المزج بين هذين المعنيين، ويبرر رسل هذا المزج "بأن الفاعل طبقاً لوجهة نظر الحدسيون، سوف يحكم على الفعل الذى يستحسنه بأنه "صواب"، إلا أن مثل هذا الحكم ليس بالضرورة كذلك، لأن إذا كان الفرد قد اعتمد على العاطفة فى استحسان الفعل، فإنه بحاجة إلى معيار موضوعى لكى يحكم عليه بالصواب، والمشكلة أن الإنسان عندما يقوم بعمل ما ويستحسنه ضميره يعتقد أن فعله هذا يعد "صوابا" من الناحية الموضوعية أيضاً، إلا أنه ليس كذلك بالضرورة أى قد لايعتبر عمله "صوابا" إذا ما نظرنا له من الناحية الموضوعية. لذلك فإنه فى حاجة إلى معيار آخر غير حاسته الخلقية لكى يحكم على ما هو "صواب" من الناحية الموضوعية[2].

وينتهى رسل بوضع تعريف للفعل الأخلاقى بقوله "يوصف فعل ما بأنه أخلاقى، عندما يحكم عليه الفاعل بأنه "صواب"، بعد فترة كافية من الاستبصار والتفكير، كما يعد الفعل "صوابا" إذا كان هو الفعل الوحيد الذى يختاره الفاعل من بين كل الأفعال الممكنة والذى يؤدى إلى أفضل النتائج"[3] بذلك يصبح الفعل الأخلاقى ليس هو ما يعد "صواباً" من وجهة النظر الذاتية فقط، أو من وجهة النظر الموضوعية فقط، إنما هو ذلك الفعل الذى يجمع بين وجهتى النظر، وذلك لأنه قد يوصف فعل ما "بالصواب" من وجهة ذاتية بينما قد لايكون هناك كذلك من وجهة موضوعية. وبذلك يوحد رسل بين الضمير والاستبصار.

كما يرى رسل "ضرورة التميز عند وصف سلوك ما بأنه، خاطئ، وبين وصفه بأنه "لا أخلاقى" أو مستحقا اللوم، فأحيانا نقوم بعمل ما ،ونعده فاضلاً على الرغم من أنه قد يكون خاطئا من وجهة النظر الموضوعية، فمن وجهة النظر الذاتية يعد الفعل أخلاقياً

---

(١) Ibid., P.25.

(٢) Ibid., P.26.

(٣) Ibid., P.36.

إذا استحسنه الفاعل، ولا أخلاقيا إذا استهجنه، إلا أن مثل هذه النظرة لايمكن قبولها، كما لايمكن الاكتفاء بتعريف، الفعل الأخلاقى، بأنه ذلك الفعل الذى يستحسنه الفاعل، وسبب ذلك.

١ - أنه يعتبر موقفاً لاأخلاقياً، أن يستحسن الفاعل أفعالاً معينة ويستهجن أخرى، دون معرفته للظروف التى تؤدى إلى الاستحسان أو إلى الاستهجان.

٢ - يعتقد الذاتيون أنه لايمكن وصف فعل ما بأنه "لاأخلاقى" طالما أن الفاعل يعتقد فى صوابه، وقادراً فى نفس الوقت على التبرير بأن مثل هذا الفعل يحقق فائدة للصالح العام. إلا أن الحقيقة ان مثل هذا التبرير الذى يقدمه الفاعل، يكون معبراً عن وجهة نظره الشخصية لأنه غالباً ما يفكر فى النتائج التى قد تؤثر عليه، دون أن يضع فى اعتباره تأثيرها على الآخرين، لذلك يمكن القول بأن عملاً ما يكون لاأخلاقياً على الرغم من اعتقاد الفاعل فى صوابه.

٣ - قد يعتقد عدم الحاجة للتفكير والتأمل بالنسبة للأفعال التى تتم بطريقة تلقائية. أو تلك التى تكون نابعة من الفطرة، وليس هناك ضرورة للحكم عليها بالصواب والخطأ، فالكرم مثلا قد يكون من الأفضل أن يتم بصورة تلقائية دون تفكير أو تأمل. إلا أن المشكلة ان هناك أفعالاً تعد تلقائية ولكنها تستحق اللوم، مثل تلك الأفعال التى تكون نابعة من القسوة والحزن[1].

وإن كان من الواضح ميل رسل إلى الاعتماد على الحاسة الخلقية، أو الضمير فى الحكم على الفعل، إلا أنه كان واعياً بأن هناك من الأسباب ما تجعل الإنسان يخطىء فى أحكامه. لذلك لكى يوصف الفعل "بالصواب" لابد من النظر إلى الصواب من وجهة موضوعية، ولابد من حساب النتائج المترتبة على الفعل، وذلك يحتاج إلى التفكير والتأمل، ويرى رسل "أنه لكى يعد الفعل صواباً" من وجهة النظر الموضوعية:

١ - لابد أن يكون مؤدياً لأفضل النتائج مهما كانت الظروف.

٢ - أن يزيد من مقدار الخير أو يقلل الشر إلى أقل قدر ممكن (وذلك بالنسبة للمواقف التى يكون أى فعل من المحتمل القيام به سوف يؤدى إلى نتائج سيئة).

---

(١) Ibid., P.32-34.

٣ - أن يتم اختيار الفعل بعد دراسة لكل المعطيات المتوفرة قبل اختياره. ويحتاج ذلك بالطبع إلى التفكير والتأمل، ووصف الفعل بالاحتمالية، لأنه قد يكون من الصعب معرفة كل النتائج.

٤ - أن يكون الفعل ممكناً القيام به - من الناحية الفسيولوجية - أى فى مقدور الفاعل تنفيذه[١].

ويمكن تلخيص ذلك بأن "الفعل الصواب" من وجهة النظر الموضوعية، هو ذلك الفعل الذى يكون من الممكن تحقيقه، ومن المحتمل أن يؤدى إلى أفضل النتائج، وإلى أعظم قدر من الخير وأقل قدر من الشر فى حالة عدم إمكانية تحقيق أقل قدر من الخير.

إلا أن رسل من خلال تطوره الفلسفى غيّر كثيرا من مواقفه[٢]، وإن كان قد استمر فى التأكيد على أن الحكم على، صواب فعل ما، يقرر طبقاً لنتائجه المحتملة، فلقد أصبح لايعطى أهمية للضمير أو الحاسة الخلقية، كما كان يفعل من قبل، ووجه النقد للحدسيين، بأن إذا كان ليس ثمة اعتراض منطقى على النظرية القائلة بأننا نعرف ما يجب أن نفعل عن طريق "الحدس"، . إلا أنه من الصعب وجود اتفاق عام حول ما يجب أن يتم أو ينفذ، كذلك لاتوفر هذه النظرية وجود قاعدة معينة، يمكن أن نفصل بها عندما يكون هناك خلافاً حول ما يجب أن نفعل، أو يمكن عن طريقها أن نقرر من قد يكون على صواب. لذلك تصبح هذه النظرية عند ممارستها فى الواقع، تعبر عن مذهب مركزية الذات، وعندما يدعى كل طرف من المختلفين بأن لديه "حدس" بالصدق سوف يتحول الخلاف الفلسفى إلى خلاف عقائدى[٣]، كذلك اعتبر رسل أن المقصود بأفضل النتائج هى تلك التى تؤدى إلى "الإشباع" حيث يرى "أن النتائج التى نستحسنها تعرف بأنها خيره، أما تلك التى نستهجنها تعد شريرة، وكل ما نرغبه يعد خيراً، وكل ما نكرهه يعد شراً[٤]". إذن فإن النتائج التى نستحسنها هى تلك التى يعتقد أنها تشبع الرغبة. ومع أن

---

(١) Ibid., P.30-32.

(٢) المواقف السابقة التى تم عرضها وردت فى مقالة مبادئ الأخلاق، ١٩١٠، ولقد غير رسل بعض آرائه فى كتابه، المجتمع الإنسانى فى الأخلاق والسياسة، ١٩٤٥.

(٣) A.J. Ayer: Bertrand Russell PP. 122-123.

(٤) B. Russell : Religion and Science, (1935) Oxford Un

رسل لم يفرق فيما إذا كان الاستحسان فرديا أم جماعياً، إلا أنه من الواضح عند وصف شيء ما بأنه خير، فإنى أعبر عن استحسانى الشخص له من منطلق أنه سوف يحقق إشباعاً عاماً للمجموع، أى أن الخير هو مايشبع الرغبة، وبذلك ينتهى رسل إلى أن الحكم على فعل ما "بالصواب" يكون طبقاً لنتائجه المحتملة، والذى يتم اختياره ويتوقع أن يؤدى إلى نتائج أفضل - فى ضوء ما لدينا من معلومات - من أى فعل آخر قد يكون ممكناً فى نفس الظروف، والمقصود بالنتائج الأفضل هى تلك التى تؤدى إلى تحقيق أكبر قدر من الإشباع[1].

والحقيقة أن رسل يعتبر من النفعيين، إذ لم يوضح أى تميز أخلاقى بين الصور المختلفة للإشباع، كذلك لم يميز بين الكيفيات المختلفة للإشباع، وإن كان استخدامه لكلمة الإشباع قد مكنه من التغلب على مايواجه النفعية من النقد الذى يوجه إليها، بسبب قصرها غاية الأفعال على تحقيق اللذة أو السعادة أو المنفعة. لأن القول بالإشباع يغطى ويشمل جميع الغايات، ويعنى أنه لابد من الحصول على شيء من المتعة. كذلك ليس بالضرورة أن تكون الغايات التى تؤدى إلى أعظم قدر من "الإشباع" هى تلك التى يمكن أن تسبب أكبر قدر من "اللذة" بل هى تلك التى نرغب فى استمرارها. عندئذ أصبح من الممكن أن يقرر "رسل" أننا نسعى لإشباع بعض الرغبات التى قد نفضلها عن غيرها، دون أن يتناقض ذلك مع اعتباره أن كل صور الإشباع متساوية[2].

٥ - القيم الخلقية:

ظهر اتجاهان فى فلسفة الأخلاق، الاتجاه الأول هو الاتجاه الذاتى الذى يرى أصحابه أن القيم الخلقية صادرة من مشاعرنا وتقدير للمنافع وقنعوا برد السلوك إلى الرغبات والميول مما يتيسر إخضاعه للبحث العلمى، ويرون أن الأحكام الخلقية تصدرها الذات التجريبية وليس الموضوع التى تصدر عنه، وأقاموا الأخلاقية على وجدان اللذة والألم أو المنفعة والضرر لذلك انتهوا بالقول بذاتية الأحكام الخلقية، ونسبية القيم وتغيرها، وردوا الضمير إلى التجربة ووحدوا بينه وبين الاستبصار وتقدير نتائج الأفعال، وربطوا الأخلاقية بجزاءاتها ونتائجها، أما الاتجاه الثانى فهو الاتجاه الموضوعى حيث رد أصحابه

---

(١) A.J. Ayer: Bertrand Russell. P127

(٢) Ibid., P.128.

الأخلاقية إلى العقل أو الحدس دون الوجدان. وفصلوا بينهما وبين إغراء الميول والرغبات والمنافع واللذات، واعتبروا الأخلاقية صفة ذاتية عينية. تقوم فى طبيعة الفعل الخير، ولاتتوقف على شعور الفرد أو الجماعة بالاستحسان، وتصوروا الضمير قوة فطرية كامنة فى طبائع البشر، تدرك الخير وتميز بينه وبين الشر حدسياً تلقائيا دون اعتبار لنتائج الأفعال وآثارها.

ويعتبر رسل من أنصار الاتجاه الذاتى، فالقيم ما هى إلا تعبير عن حالة وجدانية، حيث يرى "أنه إذا حكم الإنسان على "فعل ما" بأنه خير، كانت صفة الخير هذه معبرة عن رغبته الذاتية فى ذلك الفعل، ولم تكن صفة موضوعية فى الفعل ذاته. لذلك الحديث عن القيم. ليس هو بالحديث الذى يصف شيئاً فى عالم الواقع، فحين يقول قائل مثلاً "أن الكراهية شر والحب خير"، فليس هناك فيصل موضوعى يرجع إليه فى قبول أحد الرأيين ورفض الآخر، وكان عبثاً أن يتجادل إثنان فيما اختلفا فيه من أحكام القيم، وأى محاولة لإقناع الناس بأن شيئاً ما يعتبر خيراً فى ذاته أو شرا فى ذاته، دون النظر للنتائج، لابد أن يعتمد على فن الخطابة والتأثير فى الشعور، لا إلى الاحتكام إلى الحجة والبراهين العقلية. ولذلك كانت وسيلة الوعظ بهذا الفعل أو ذاك، مما يحسبه الواعظ خيراً هى الخطاب والتأثير فى الشعور[١].

وتعتبر الأحكام الخلقية ليست مما يمكن وصفها بالصواب والخطأ، وبالتالى لايجوز لها أن تكون علماً أو جزءاً من علم. ويوضح رسل ذلك "بأن المسائل التى تتعلق بالقيم، أو مايعتبر خيرا فى ذاته أو شراً فى ذاته بدون النظر للنتائج، تخرج عن نطاق العلم، بل وعندما نقرر أن هذا أو ذاك له قيمة فى ذاته، فإن ذلك ما هو إلا إنفعال يعبر عن حالة نفسية معينة، ولايعبر عن حقيقة موضوعية يمكن اعتبارها صادقة بذاتها[٢]، بناء على ذلك فإن الاختلاف بين الناس على تقدير الأفعال تقديرا خلقياً، هو من قبيل اختلافهم فى "الذوق" حيث يعتقد رسل "أنه إذا كان هناك خلاف حول القيم، فإنه من المستحيل أن تتوفر لنا إمكانية البرهنة على هذا أو ذاك له قيمة جوهرية فى ذاته، وبذلك أصبح من الضرورى أن نرد هذه الاختلافات إلى اختلاف فى الذوق وليس اختلافاً حول أى حقيقة موضوعية[٣]، ولحسم الخلاف بين الناس حول أى مسألة خلقية، لابد أن يكون هناك فى

(١) B. Russell : Religion and Science, PP. 230-235.
(٢) Ibid., P230.
(٣) Ibid., P238.

البداية اتفاق حول مبادئ بعينها، عندئذ ينحصر الخلاف فى هل تنطبق تلك المبادئ المتفق عليها على الأفعال التى اختلف فى تقويمها؟

إلا أن رد الاختلاف حول القيم إلى اختلاف فى الذوق والرغبات. لايعنى التحلل من الالتزام الخلقى، أو أنه يؤدى إلى الفوضوية كما يعتقد القائلون بموضوعية القيم. فيقرر رسل "أن القول بذاتية القيم قد يكون من نتائجه تحلل مفهومى الرذيلة والعقاب الإلهى، أما الاستنتاج بأن القول بذاتية القيم يؤدى إلى تحلل الإلزام. يعد استنتاجاً خاطئا، لأنه إذا كان للإلزام الخلقى أن يؤثر على السلوك لابد أن يكون نابعاً عن رغبة ما، وليس قائماً على مجرد اعتقاد ما، وإذا كان هناك مثلا اختلاف بينك وبين فرد آخر حول مسألة أخلاقية. فإن استنادك إلى أى نظرية أخلاقية ذاتية كانت أو موضوعية، لن تؤدى إلى اتفاق فيما تختلفا عليه. بل ولن تستطيع أن تغير سلوك من تختلف معه أو وجهة نظره الأخلاقية. إلا إذا أمكن لك أن تغير من رغباته[1]، ورغباتنا لايمكن عدها كلها رغبات ذاتية أو أنانية كما يعتقد معظم الأخلاقيين حيث يرى رسل "أن رغباتنا ليست كلها ذات طابع شخصى، بل هناك الكثير من رغباتنا التى لها طابعها غير الشخصى أو التى يمكن وصفها بأنها رغبات عامة تخص النوع الإنسانى كله، لأنه إذا لم تكن لدينا مثل هذه الرغبات العامة، فإن أى تغير فى السلوك الأخلاقى لن يحدث إلا كنتيجة للخوف من الذم والاستهجان، لكن فى الحقيقة إذا كان هناك أمل فى أن يسلك الإنسان بصورة لاتتعارض مع سعادة البشرية عامة، فإن ذلك لن يتم عن طريق أى نظرية أخلاقية، إنما بغرس مثل هذه الرغبات العامة (غير الشخصية) بالتربية والمعرفة، عندئذ فإن كل رغبة من هذه الرغبات العامة سوف يتولد عنها وتنتج قواعد السلوك الخاصة بتحقيقها. إذ مهما كان لدينا من التعريفات النظرية لمعنى الخير، أو سواء اعتبر ذاتياً أو موضوعياً، فإن هؤلاء الذين لايرغبون فى سعادة البشرية لن يقدموا على فعله، بينما الذين يرغبونها سوف يبذلون قصارى جهدهم لتحقيقها[2].

إلا أنه مع ذلك كله ليست العبارات الدالة على أحكام خلقية هى من قبيل العبارات الذاتية الصرفة التى لاتعدو حدود قائلها، لأنه مما يميز العبارة الأخلاقية أن قائلها يعبر بها

---

(١) Ibid., PP. 240-241

(٢) Ibid., P. 243

عن رغبة يتمنى أن يطبقها الناس جميعاً فى سلوكهم، وفى هذه الرغبة فى تعميم القاعدة ظل طفيف من الموضوعية بل ويعود رسل ويقرر "أنه على الرغم من صدق الزعم القائل بأن العلم لايستطيع أن يفصل فى مسائل القيم، وإنها لايمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب. إلا أنه إذا كانت هناك معرفة يمكن اكتسابها. فلم يتم ذلك إلا بالمناهج العلمية. ومالايستطيع العلم اكتشافه لن يستطيع الإنسان معرفته[١]. كذلك يصر على اعتبار قضايا الأخلاق من نوع القضايا الوصفية. حتى يصبح من الممكن وصف هذه القضايا الأخلاقية بالصدق أو الكذب. كما يحدث فى الحكم على القضايا العلمية[٢].

والحقيقة ان رسل رغم وضوح إيمانه بذاتية الأحكام الخلقية والقضايا التى تعبر عن هذه الأحكام، وتلك كانت نظرته فى "عام ١٩٣٠"، إلا أن إيمانه الشديد بقيمة العلم، وأن مالايمكن تحصيله عن طريق العلم لايمكن عدة من أنواع المعرفة، أدى به إلى الاعتقاد بأن قضايا الأخلاق يمكن أن تكون قضايا وصفية حتى يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، ولكن على الرغم من ذلك لايمكن أن تصنف نظريته بأنها نظرية موضوعية، طالما أن فعل الخير متوقفا على هؤلاء الذين يرغبون سعادة البشرية، بل وبسبب وجود بعض الذين يميلون إلى القسوة والكراهية، ولايرغبون فى سعادة الجنس البشرى، تبتعد نظرية رسل عن وصفها بأنها نظرية موضوعية[٣].

تعقيب وخاتمة:

١ - يعتبر رسل من أنصار الاتجاه النفعى، حيث اعتبر أن الحكم على الفعل يكون طبقاً لنتائجه، فالفعل الصواب هو ذلك الفعل الذى من المحتمل أن تكون له نتائج أفضل. وتؤدى إلى زيادة فى الإشباع، وعند تسمية "فعل" بأنه خير، فإننى أعنى استحسان الشخص له حيث أنه من المتوقع أن يحقق إشباعاً عاماً للرغبات. وكل صور الإشباع متساوية من حيث الكم، فإذا كان هناك شيئان فإنه يمكن وصف كلاهما بالخيرية، إذا كان لهما نفس القدر من الإشباع، ومع أن القول بالإشباع يشمل كل غاية يمكن أن يحققها

---

(١) Ibid., P.243.

(٢) A.J. Ayer: Bertrand Russell, P129

(٣) Ibid., P 130.

الفعل الأخلاقى، إلا أن رسل لم يقصد وصف تلك الاشياء التى تؤدى بالضرورة إلى أعظم قدر من المنفعة، إنما قصد تلك الأشياء التى نظل نرغبها دائماً وبصفة مستمرة، وبذلك يتخلص رسل من الخطأ الذى وقع فيه النفعيون فى قصر الرغبة على ما يؤدى إلى اللذة. كذلك يظهر ميله نحو المذهب النفعى فى تبينه للاتجاه الإنسانى بالنسبة لأخلاقيات الجنس. حيث يرى أنه من حقنا أن نشعر بالحرية فى أن نفعل ما نريد، ماعدا تلك الأفعال التى تسبب أذى للآخرين[1].

إن رسل يحيد عن الاتجاه النفعى فى موقفه من القسوة والظلم على الرغم مما قد يتحقق من إشباع، ويبدو أن عاطفته الأخلاقية وميله الشديد للحرية والعدالة وكراهيته للظلم والقسوة والجهل أدت به إلى الحياد عن الاتجاه النفعى، حيث يرفض الكبت والقهر والخرافة، حتى وإن كان بعض الناس يشعرون بنوع من الإشباع منها، ويرى أنه يعد شئ مخزى حقاً بالنسبة لهؤلاء الذين لايستطيعون أن يواجهوا عقبات الحياة دون الاعتماد على الخرافات التى توفر لهم إحساساً بنوع من الراحة[2]، لذلك بالرغم من وضوح الذاتية فى فلسفته الأخلاقية، إلا أنها لاتعد فلسفة نفعية مترابطة ومتكاملة.

٢ - اعتبر رسل قضايا الأخلاق ليست علماً أو جزءاً من العلم، وبذلك يقترب من فلاسفة الوضعية المنطقية. فالقضايا الأخلاقية التى تعبر عن أحكام القيمة. أو تتناول تعريف الخير، أو الفضيلة، لايمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب لأنها لاتصف أى حقيقة موضوعية، بحيث يمكن حسم خلاف حولها، فهى قضايا تعبر عن رغبة. لذلك فالاختلافات ترجع إلى اختلافات فى الذوق. كما يقترب رسل من النظرية الانفعالية فى القيم، حيث يجعل الخير قائماً على الذات المدركة لأعلى صفة فى الشىء المدرك، فالقيم الخلقية تعبير عن مشاعر الإنسان ومصالحه، لذلك فالقضايا التى تعبر عن أحكام القيمة ليست قضايا منطقية، لذلك فالقضايا التى تعبر عن أحكام القيمة ليست قضايا منطقية، بمعنى أنها ليست تقريرية وصفية، فإذا قال فرد أن هذا خير ووصف آخر هذا الشىء بأنه شرف ليس هناك تناقضا لأن كل منهما يعبر عن حالة انفعالية.

إلا أن رسل عاد وقرر أن قضايا الأخلاق. أو تلك التى تتناول القواعد الخلقية تكون فى حكم قضايا العلم، أى يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب كما نفعل فى قضايا

---

(١) Ibid P 128

(٢) Ibid P 130

العلم، ومع أنه قد فرق بين القضايا التى تتناول المبادئ الأخلاقية أو تعريفات الخير مثلا، وبين القضايا التى تتناول القواعد الخلقية، حيث يرى أن القضايا التى تتحدث عن القواعد الأخلاقية يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، وذلك قياساً للمبدأ الذى تكون قد صيغت لكى تحققه، وبذلك يمكن اعتبار مثل هذه القضايا من نوع القضايا العلمية، وبالتالى يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، إلا أن اعتبار قضايا الأخلاق وصفية يتناقض مع القول بأن القضايا التى تتناول أحكام القيمة مجرد تعبير عن رغبة أو انفعال.

٣ - إن القول بذاتية القيم وان أحكام القيمة نسبية تختلف من إنسان لآخر طبقاً للرغبات والميول أو الذوق، تفقد الأخلاق قيمتها ويؤدى إلى نزعة ارتيابية أو شكية مطلقة. وإن كان القول بذاتية القيم أو أحكامها يعود لما قد يلاحظ من تنافر بين أحكام الأفراد، إلا أن أشد الناس ارتياباً فى صحة الأحكام الخلقية. لابد وأن يسلم بأن ثمة أفعالاً مثل "قول الصدق" تعد بالضرورة صائبة، وأن ثمة أفعالاً أخرى مثل القتل تعد بالضرورة خاطئة، وإذا تم إنكار شرعية مثل هذه الأحكام العامة، لكان فى ذلك إنكار لقدرة العقل الإنسانى وأن البشر عاجزون عن إصدار أى أحكام خلقية معقولة.

وأما الحكم على الفعل الخلقى حسب نتائجه، فإنه يؤدى إلى نوع من التناقض فى الحكم، حيث أن الفعل سيكون خيرا وشراً فى آن واحد، أو يعد فى موقف ماخيرا وفى ظروف أخرى شرا. الأمر الذى يوقع الإنسان فى التناقض، وقد يؤدى إلى تحلل الإلزام الخلقى. كذلك اعتبار الفعل الخلقى هو مايلقى استحساناً أو قبولاً، فهل استحسان الفرد أم الجماعة أم المجتمع أم الإنسانية؟ وإذا كانت أفضل النتائج هى تلك التى تحقق إشباعاً للرغبات وأن الخير هو مايشبع الرغبة، فإن العقل الإنسانى سوف يصبح خادماً للرغبات، وتقتصر وظيفته على اختيار الفعل الذى سوف يحقق أكبر قدر من الإشباع.

٤ - يرد رسل الأخلاق إلى المشاعر والرغبات والعواطف الإنسانية، حيث يعتقد أنه مهما كانت النظريات الأخلاقية التى تتناول مفهوم الخير أو تحاول وضع تعريف للخير، فإن الإنسان لن يقوم على فعل الخير إلا إذا كان لديه الرغبة فى تحقيق سعادة الجنس البشرى، وبذلك يجعل الخير متوقفاً على رغبة الإنسان فى تحقيقه، ومع أن علم النفس يؤكد دور الرغبات فى توجيه سلوك الإنسان، إلا أن اعتبار فعل الخير متوقفاً على الرغبة فى سعادة البشرية، يجعل مفهوم الخير أمراً نسبياً، وقد يؤدى إلى استحالة تحقيق الخير فى المجتمع بسبب هؤلاء الذين مازالوا لايرغبون فى تحقيق سعادة البشرية، فليس مجرد

الدعوة إلى ضرورة السعي نحو سعادة البشرية، كافية للقضاء أو التقليل من انتشار الكراهية، وان كان رسل قد ظن أن التربية قادرة على التقليل من الكراهية ومن الرغبات المتنافرة بين أفراد المجتمع، إلا أن نظريته الأخلاقية قد تنهار تماماً بسبب هؤلاء الذين لايرغبون بسعادة الجنس البشرى، وإذا كان يرى أن الإنسان لن يفعل الخير بسبب اقتناعه أو اعتقاده بنظرية أخلاقية معينة "ولكن بسبب رغبته فى فعله، لأننا نفعل لإشباع رغباتنا، فإن نظرية رسل الأخلاقية نفسها تفقد قيمتها وهدفها باعتبارها نظرية أخلاقية.

٥ - لم يبدأ رسل بعرض نظريته الأخلاقية من منطلق نظرى، أو من خلال مذهب فلسفى ملتزم به بداية، بحيث يمكن اعتبار نظريته الأخلاقية امتداداً أو استنتاجاً منطقى لمذهبه الفلسفى، إنما قد بدأ بنظرة تحليلية للمذاهب الأخلاقية عند المثاليين والحدسيين والتجريبيين والتحليليين، ولوجهة النظر الذاتية والموضوعية، حيث كان يحلل موقف كل منهم فى كل مشكلة جزئية. حتى يخرج باتفاق أو اختلاف أو رفض لوجهات النظر المختلفة. ومثل هذا الموقف ليس جديداً فى الفلسفة فمعظم الفلاسفة كان لهم هذا النهج، ومثل هذه النظرة التحليلية كانت عند "سقراط" و"كانط" و"الفلاسفة التجريبيين". إلا أن مايميز رسل أنه لم ينقد هذه النظريات من منطلق مذهبى. أو من خلال موقف مذهبى سابق مقتنع به. بل أنه كان يغير من مواقفه التى قد تبناها من قبل. ويمكن تفسير هذا الموقف بأن رسل لم يكن يؤمن بالمذهبية، أو بالعقائد الثابتة التى لايمكن الحياد عنها، فالنظرة التحليلية تفرض إعادة دراسة الموضوع دائماً فى ضوء التطورات المعاصرة، ونظريته الأخلاقية لم يعرضها متكاملة أو فى حقبة زمنية محددة وفى مؤلف واحد، ولكنها جاءت متناثرة خلال تطور وفكره الفلسفى[1].

٦ - يمكن التماس النزعة التحليلية عند رسل فيما يمكن أن يعتبر تطبيق لمبدأ الاقتصاد فى الفكر، أو لقاعدة نصل أوكام، أو ما يمكن اعتباره تطبيقاً لروح هذه القاعدة، وان لم يكن تطبيقها منهجياً لها، فلقد رفض رسل التعارض بين النظرة الذاتية والنظرة الموضوعية فى الحكم على صواب الفعل، ورأى ضرورة المزج بين هاتين النظريتين أو بين أصحاب

---

(١) عرض رسل آرائه الخلقية فى المؤلفات التالية:

- Elements of Ethics. (1910)

- An Outline of Philosophy (1927) أيضا

- Religion and Science (1935) ,أيضا

- Human Society in Ethics and Politics (1945) ,أيضا

الحكم على الفعل حسب نتائجه وبين الذين يحكمون عليه طبقاً لاستحسان واستهجان الفاعل له. كذلك مزج بين القائلين بالجبرية والقائلين بحرية الإرادة، وبين أصحاب الأخلاق الفردية والقائلين بالأخلاق الاجتماعية وتعريف رسل للفعل الخلقى بأنه "ما يستحسنه الفاعل ويحكم عليه بالصواب حسب نتائجه، أو لتحقيقه لأكبر قدر من الإشباع، يؤكد عدم وجود ذلك الحد الفاصل بين ما هو ذاتى وما هو موضوعى، أو بين ما هو فردى وماهو اجتماعى، أو بين الجبر والاختيار، ويتشابه موقفه مع موقفه من المادة والذهن حيث انتهى إلى التخلص من ذلك الحد الفاصل بين فكرتى المادة والذهن، فليس هناك جوهر مادى مستقل أو جوهر روحى، كذلك ليس هناك ما هو خير فى ذاته أو شر فى ذاته، فالخير ليس جوهرا قائماً بذاته، بل ان هناك خير للفرد وخير للمجتمع ونتائج للأفعال توصف بأنها خيرة. وإذا كان هدف قاعدة نصل أوكام التقليل من المفردات أو الكائنات أو المقدمات لأى علم من العلوم، فإن رسل أخرج النظريات التى تتناول مفهوم الخير من دراسة الأخلاق. وإذا جاز تفسير القاعدة بمعنى واسع بأنها رغبة فى الاقتصاد، فإنه يمكن القول بأن رسل "هدف إلى التقليل من النزعات غير الضرورية بين المذاهب ووجهات النظر الأخلاقية. فإذا كانت أحكام القيمة ترتد إلى "الذوق" أو أنها تعبير عن الرغبة فإنها من نوع القضايا التى لايمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، ومهما كانت الأدلة والبراهين العقلية فإنها لن تحسم خلافاً حول حكم من أحكام القيمة، وبالتالى ليس هناك ضرورة أو نتيجة للجدل حول مسائل القيم.

٧ - من سمات النظرة التحليلية استخدام النظريات المنطقية والاعتماد على النظريات العلمية. ولقد وضحت هذه السمة عند رسل فى تناوله للمفاهيم الأخلاقية، فلقد حلل مفهوم الخير والشر ومعنى الصواب والخطأ، ثم وضح الفروق بين كلمة أخلاق وكلمة صواب إلى آخر هذه التحليلات التى تعد سمة أصيلة من سمات التحليل اللغوى، كذلك حلل أنواع القضايا الأخلاقية، وبين الفرق بين القضايا التى تتناول تعريفات الخير مثلاً، أو القضايا التى تتناول القواعد الأخلاقية، فالقضايا من النوع الأول لايمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، فإذا قال "بنتام" مثلا أن الخير هو اللذة فتلك قضية لايمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب. لأنه يعبر هنا عن رغبة شخصية، وليس هناك وسيلة علمية يمكن بها إثبات صحة أو خطأ هذا المبدأ، أو حسم خلاف بين بنتام وبين من يرفض مبدأه أو يتعارض معه. وتحليل رسل لأمثال هذه القضايا يشبه موقفه من العبارة الوصفية

العامة، تلك التى لاتشير إلى شىء فى الواقع، وبالتالى لايمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب بل أنها ليست قضايا منطقية. أما القضايا من النوع الثانى أى تلك التى تتناول القواعد الخلقية فإنه يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب بالنسبة للمبدأ الذى تؤدى إليه، فمثلاً إذا ناقش "بنتام" قضايا من أنواع هل يجوز تطبيق عقوبة الإعدام على السارق؟ وهل القانون الجنائى (فى عصر بنتام) يجب تعديله[1]، فإن مثل هذه القضايا تقع فى مجال العلم ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب.

كما يتضح إيمانه الكامل بالعلم ونظرياته حيث رد الأخلاق إلى العلم بمعنى أنه جعل تشكيل القواعد الأخلاقية مسألة تخص العلم، وعلى الرغم من أن العبارات التى تتناول الأحكام القيمية مجرد تعبير عن رغبات عامة، إلا أن العلم قادر على دراسة أسباب هذه الرغبات وتحديد وسائل تحققها، وإذا كان الخير يتحقق فى إحداث التوازن والانسجام بين أفراد المجتمع، فإن علم التربية قادر على تنمية الرغبات التى تؤدى إلى الانسجام بين أفراد المجتمع والإقلال من تلك التى تؤدى إلى التنافر بين أفراده، بل وعلى الرغم من تأكيده بأن الأخلاق تقوم على المشاعر والعواطف، إلا أنه يعود ويقرر أن قضايا الأخلاق يجب أن تكون من نوع القضايا الوصفية، ورغم هذا التناقض إلا أن ذلك يوضح مدى إيمان رسل بالعلم، وأن أى معرفة لايمكن أن تتم إلا بالمنهج العلمى.

٨ - ولكن على الرغم من وضوح بعض سمات وأهداف الاتجاه التحليلى عند رسل فى دراسته للأخلاق، إلا أنه لم يكن ملتزماً بتطبيق منهجه التحليلى فى هذه الدراسة، ويعد من أصحاب المذاهب التقليدية فى الأخلاق، ويقترب من أنصار الاتجاه النفعى أمثال "هيوم" و"لوك" و"بنتام" و"جون ستيوارت مل"، بقدر ما يبتعد عن الفلاسفة التحليليين، لذلك يعتبر رسل من أصحاب المنهج المزدوج فكان له منهج تحليلى طبقه فى مجال العلوم الطبيعية والرياضية، ولم يطبقه فى مجال القيم والعلاقات الإنسانية، حيث اعتبر الإنسان سيدا لاسلطان عليه فى مجال القيم والأخلاق، ويمكن تفسير ذلك المنهج المزدوج عند رسل، بأن ميله الشديد للحرية الإنسانية وعاطفته نحوها، جعلته لايرغب فى وضع أى قيود تحد من حرية الإنسان وقيمه، وذلك الحب الجارف للحرية ما جعله يحيد أيضاً عن إطار المذهب النفعى فحبه للعدالة وكراهيته للظلم والقسوة جعلته يقترب من أن يجعل العدالة والحرية قيمتين جوهريتين فى ذاتهما.

---

(١) B. Russell : Religion and Science, P.229.